الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم
كلية الأدب والفنون
قسم الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: الدراسات الأدبية المقارنة

عنوان المذكرة:

أثر الواقعية الاشتراكية في كتابات الطاهر وطار "رواية اللاز " أنموذجا

إعداد الطالبة :
كسار مليكة

إشراف الأستاذ:
د/منقور ميلود عبيد

السنة الجامعية 2015 - 2016

بســـــــــــم الله الرحمـــــــــن الرحيـــــــــــــــم

قال تعالى: "و لولا فضل الله عليك و رحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوّك و ما يضلّون إلا أنفسهم و ما يضرّونك من شيء و أنزل الله عليك الكتب و الحكمة و علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما(113)" النساء 123.

دعـــــــــــاء

يـــــا رب لا تدعني أصـــــاب بالغرور إذا نجحت، و لا أصـــــاب باليـــأس إذا فشلت، بل ذكرني دائمـــــا أن الفشل هو التجـــــارب التي سبقت النجـــــــاح.

يـــــا رب علمني أن التسامـــــح هو أول مـــــــراتب القوة، و أن حب الانتقـــام هو أول مراتـــــــب الضـــــــــعف.

يـــــا رب إذا جردتني من المـــــــال فأتـــــرك لي الأمـــــل، و إذا جردتـــني من النجـــــاح فاترك لي قـــوة العنـــاد حتى أتغلـــب على الفشـــــل، و إذا جردتني من الصحة أترك لي نعمة الإيمان.

يا رب إذا أســأت إلى النـــــاس أعطيني شجاعة الاعتذار و إذا أساء الناس إلي أعطيني شجاعة العفو، و إذا نسيت ذكرني.

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم). صدق الله العظيم.

إهداء

أهـــــــــدي ثمرة جهـــــــدي:

إلى من تمنيت أن يبقى شمعـــــة مضيئـــــــة في حيـــــاتي

إلى من هـــــــو رمـــــــز إصراري و صـــــــمودي حتى

لو غاب عني أبي الغـــــــــالي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانــه.

إلى من هي منبع الحنان و مورد الصفاء و الحب إلى أمي الغاليـــة

أطـــــــــــــــــــــال الله عـــــــــمرهـــــــا.

إلى أعز مـــــــا أملك ، إلى من هم شفاء لجراحي و دواء حياتـــي

إلى جميع إخوتي دون استثناء، و إلى كتاكيت العائلة الكبيرة محمد أمين،

ياسمين، مريم، بسمة، سندس، عائشة، و المدلل محمد أميـــــــــــن .

كما أخص بالتحية أعز إنسان على قلبي زوجي المستقبلي وحيد حمو كرننو.

إلى جميع صديقاتي نورة، إلهام، كلثوم، سميرة، رشيدة، أمينة،نوال، خيرة،

فاطمة بن عائشة، فوزية، فاطمة بكريتي، و صديقاي محمد و أحمـــــــد.

إلى من ساعدني و ساندني في مشواري الدراسي و إلى جميع أســـاتذتي

من الطور الابتدائي إلى الجامعـــــــــي خاصة أستاذي المؤطر الدكتور

منقـــــــــور ميلـــــــــــــــود عبيد.

و أختم كلامي بتمني النجاح و التوفيق إلى كل من يملك معنى كلمة التحدي و الإرادة.

تـشكـــــــــــــــــر ا ت

- شكري لله سبحانه و تعالى الذي وفقني لإتمام نسج خيوط هذه الرسالة لإخراجها بثوب جديد.
- و عملا بقوله صلى الله عليه و سلم: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"، و أصالة عن نفسي أتوجه بالشكر الجزيل إلى:
- أستاذي الفاضل "الدكتور منقور ميلود عبيد" الذي أسهم في إعانتي على هذه الرسالة و لم يبخل علي بنصائحه و إرشاداته .
- و شكري إلى كل قارئ هذه الرسالة من قريب و من بعيد و بعون الله كنت خالصة في تقديم ما ينفع وهذا بفضل الله سبحانه و تعالى.
- و شكري إلى كل من ساعدني و لو بكلمة طيبة على إنجاز هذا البحث و إتمامه.
- إن أصبت فالحمد لله و إن أخفقت فهو نصري، اللهم إن أعطيتني نجاحا فلا تأخذ مني تواضعا و إن أعطيتني تواضعا فلا تأخذ مني اعتزازا بكرامتي.

مع أصـــــــــــدق الأمنيـــــــــــات و أطيب التحيـــــــــات

منتديات رياحين الأمل

مقـــــــــــــــدمة

حظيت الواقعية باهتمام كبير في الأدب الجزائري عامة، و الرواية على وجه الخصوص كونها أكثر الأجناس الأدبية رصدا للواقع المعيشي لحياة الفرد و المجتمع. و بالتالي فالأديب الواقعي هو المرآة العاكسة للمجتمع الذي يعيش فيه، و مهمته نقل و تصوير الواقع ليس كما هو بل كما يراه الأديب ممزوجا بذاتيته.

و من خلال هذا طرحنا الإشكال التالي: ما مفهوم الواقعية؟ و ما هي أنواعها؟ و إلى أيّ مدى استطاع الطاهر وطار أن يجسدها في روايته اللاز؟.

و من الأسباب التي دفعتن ا لاختيار هذا الموضوع هي: الاهتمام البالغ الذي حظيت به الواقعية عند الأدباء الجزائريين، و السبب الآخر أن أغلب الدارسين لم يحددوا نوعها، هذا ما دفعني للبحث و التدقيق للوصول إلى حقيقة الواقعية التي التزم بها الطاهر وطار في روايته "اللاز"، وقد وقع اختيار نا على هذه الرواية التي تقترب من الإشكالية المطروحة لكونها تنقل لنا صورة حية عن واقع المجتمع الجزائري الذي عاشه جرّاء ويلات الاستعمار الفرنسي و ما خلفه من فساد.

و قد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي و المنهج الفني الذي يجمع المعايير الفنية في دراسة عمل من الأعمال الإبداعية سواء كانت خصائص معنوية أو خصائص شكلية على حد سواء.

أما الخطة التي اتبعناها في بحثنا قد تضمنت مقدمة و مدخلا، و فصلين و ملحقا و خاتمة.

فقد تناولنا في المدخل دراسة حول تعريف الواقعية- نشأتها- أنواعها و أعلامها، أما الفصل الأول تضمن علاقة الواقعية بالرواية الجزائرية و الذي انطوى تحت ثلاث مباحث، المبحث الأول كان حول الواقعية و أصولها أما المبحث الثاني حول خصائص و مميزات الواقعية، و المبحث الثالث كان حول أثر الواقعية في الرواية الجزائرية.

أما الفصل الثاني فكان دراسة تطبيقية حول رواية "اللاز" للطاهر وطار، و الذي انقسم بدوره إلى ثلاثة مباحث، فللمبحث الأول تضمن دوافع تأليف الرواية و مضمونها، أما المبحث الثاني كان حول البناء الفني لرواية "اللاز"، أما المبحث الثالث و الأخير كان حول تجليات الواقعية الاشتراكية في رواية "اللاز".

أما الملحق فقد تضمن نبذة عن حياة الطاهر وطار.

وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة وجيزة تضمنت أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث

ومن أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنها في معالجتنا لهذا البحث نذكر منها: مذاهب الأدب لمحمد مندور، الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال، و رواية اللاز لطاهر وطار...

فقد لاقتنا بعض الصعوبات في مشوارنا هذا كباقي البحوث، تمثلت في: صعوبة الحصول على بعض المراجع الأساسية، و تأخرنا في الحصول على مراجع أخرى مما اضطرنا إلى إعادة بعض أجزاء البحث، هذا فضلا عن عامل الزمن الذي كان عائقا حقيقيا أمام تعميق هذه الدراسة أكثر و لكننا حاولنا قدر المستطاع الإلمام بجوانب هذا الموضوع.

و تبقى كلمة الحق أقولها هي أنني سعدت كل السعادة بإشراف أستاذي الفاضل "الدكتور منقور ميلود عبيد" ، على هذه الدراسة و ما أسداه لي من نصائح و توجيهات قيّمة، و نعم الأستاذ الذي كان لي سراجا منيرا في رحلتي مع البحث.

و في الختام نرجو أن نكون قد وفقنا في عملنا و نأمل أن تعقب هذه الدراسة البسيطة دراسات أخرى تكون أعمق و أكثر تفصيلا و تدقيقا، و الله ولي التوفيق و هو الهادي إلى السواء السبيل.

مستغـــانـــــــــــــــــــــــــــــــم:

بتاريخ: 2016/05/16.

المدخـــــــــــــــــــل:

الواقعيـــــة ـ نشـــــــأتها ـ أنـــــــواعها و أعلامـــــــها.

1) تعريف الواقعية لغة واصطلاحا :

تعد الواقعية ثالث المذاهب الأدبية من حيث النشأة، وثاني مذهب أدبي بعد المذهب الرومانسي من جهة عمق التأثير. وأول مذهب من جهة طول المدة التي استمر فيها.

لذلك يتعين علينا أن نعرف الواقعية لغة و اصطلاحا:

كلمة الواقعية مأخوذة من " الواقع، هو اسم فاعل من: وقع. بمعنى نزل وسقط وحصل، وأتى ... فيقال: وقع به ماكر، نزل، وقع منه الأمر موقعا حسنا أو سيئا تثبت لديه. وتوقع الشيء ينتظره وتخوفه".[1] يتضح لنا من هذا التعريف أنه قد ألمّ بالمعاني الرئيسية لكلمة "واقع" التي تقابلها "لفظة Real من اللفظ اللاتيني Réalise أي ما له علاقة بالشيء والمادة Matter والاسم منه Realnes ".[2]

ومعناها اللغوي يختلف بحسب المجال المستخدم فيه مثل،" حدث كواقع، فهو ليس خياليا أو تصورا، فهو واقعي أو صادق مثل قولنا: إنه يفضل الأدب على الحياة الواقعية، فهو ما ليس صناعيا فهو أصيل مثل اللؤلؤ الطبيعي، أو هو ما ليس فيخ مظهرية أو تظاهرا مثل: الحزن الحقيقي Real Grief. أو في مجال القانون، فيما هو ثابت، مثل الأصول الثابتة، الأراضي والمباني، فهو ملكية حقيقية أو عامة تمييزا لها عن الملكية الخاصة Personnel. أو في مجال الرياضيات ما له علاقة بالأعداد الصحيحة. ومنها اللفظ المستخدم كصفة كقولنا الحقيقي والواقعي وهو يشير إلى الشيء الموجود حقيقة، وبالتالي فهو ملموس، مادي قابل للقياس، أو ما يشير إلى الأشياء الطبيعية. وتأتي بمعنى النزعة الواقعية Réalisme وهو واقعي أو عملي".[3] ويستخدم ضد كلمة تصوري أو خيالي Imaginaire في مجالات الأدب والفن، وتركز لفظة الواقعية على التصور الموضعي.

---

[1]- ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984، ص309.
[2]- إبراهيم مصطفى: نقد المذاهب المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2000، ص46.
[3]-المرجع نفسه، ص 47.

والأكيد أن "المدلول الاصطلاحي للفظة الواقعية كمذهب أدبي لا ينفصل انفصالا كليا عن المدلول الاشتقاقي المستفاد من كلمة واقع، فالواقعية تسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسراره وإظهار خفاياه وتفسيره".[1] فهي محاولة تهدف إلى تصوير الحياة الطبيعية الإنسانية بأوسع معانيها وبمختلف أشكالها، وبهذا فالواقعية "ليست الأخذ عن واقع الحياة وتصويره بخيره وشره كالآلة الفوتوغرافية، كما أنها ليست معالجة لمشاكل المجتمع ومحاولة حلها أو التوجه نحو هذا الحل، كما أنها ليست ضد أدب الخيال أو الأبراج العاجية وإنما هي فلسفة خاصة في فهم الحياة والأحياء وتفسيرهما، أو هي وجهة نظر خاصة ترى الحياة من خلال منظار أسود، وترى أن الشر هو الأصل فيها وأن التشاؤم والحذر هما الأجدر ببني البشر لا المالية والتفاؤل"[2]. وهي بهذا المعنى ترفض أن ترفع الواقع إلى المستوى المثال أو بمعنى آخر ترفض أن تصور الواقع بمظهره الكامل المثالي " والواقعية لا تبشر بشيء، ولا تدعو إلى سلوك خاص في الحياة، فكل هذا بعيد عن طبيعتها، وإنما كل همها هو فهم واقع الحياة وتفسيره على نحو الذي تراه. وه و فهم وتفسير قد ينتج عنهما الخير وقد ينتج عنهما الشر:" فالخير يأتي من التبصير بالواقع حتى لا يقع الأخيار فريسة للأشرار، كما أنها قد تنفر من قبح هذا الواقع وتدفع إلى إصلاحه. آما الشر فقد يأتي من التشكيك في القيم المثالية الأخلاقية"[3] والواقعية هي تصوير للإنسان والطبيعة بأشكالهما وأصولهما و تفاعلهما مع العناية بواقع الحياة اليومية وتفصيلاتها لكل واحد منهما.

"الواقعية كمصطلح فني مذهبي، ظهرت في فرنسا سنة 1826، في سياق النقد الأدبي الفني، وكانت قبل ذلك، صفة عامة تطلق على نتاج فكري يعتمد الحياة الإنسانية والطبيعية وكل ما يدخل في نطاق الإدراك الحسي، والأمور الجارية في محيط الإنسان"[4]، ولكن ليس هذا التحديد الدقيق للواقعية من حيث هي مذهب أدبي" وقد كانت الواقعية تعبير عن ذلك الروح الجديد الذي سيطر على الحياة في ذلك الوقت، وهو الروح العلمي، فقد

[1] - محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط2004، ص93
[2]- المرجع نفسه، ص 94.
[3]-المرجع نفسه، ص 97.
[4]- ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب معالم وانعكاسات. ص310

ترك الواقعيون خيالات الرومنتيكية وأحلامهم، وراحوا يلتمسون الحقيقة في الواقع الملموس فليس للواقعيين إيمان بعالم علوي فوق المحسوس، ولكنهم يؤمنون بالحقيقة الواقعة، وهذه الحقيقة يمكن الوصول إليها عن طريق التجربة"[1] والواقعية هي الصفة الأدبية التي تطلق على واقع الحياة الحقيقية للإنسان والطبيعية وهي رد فعل على الرومنسية التي تنصرف إلى الخيال والوجدان العاطفي.

2) نشـــــــــــــــــــــــــأة الـــــــــواقعيـــــــــــــــــــــــة:

الواقعية هي المذهب الذي يهتم بوصف الحياة اليومية كما هي دون أي مثالية، ورغم أنها ليست مقتصرة على قرن واحد أو مجموعة من الكتاب، إلا أنه قد ارتبط اسمها بالحركة الأدبية التي ظهرت في فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر ومن تم انتشرت في أنحاء أوروبا. " فالواقعية ظهرت في نفس الوقت الذي ظهرت فيه البرناسية، لكن البرناسية اتجهت إلى الشعر الغنائي بينما اتجهت الواقعية إلى القصة والمسرحية"[2] فنشأة المدرسة الواقعية ظهرت في شكل اتجاه أدبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر متأثرة بالنهضة العلمية.

إن الأسباب الفلسفية والاجتماعية التي ساعدت على انحسار الرومنتيكية، هي التي ساعدت على قيام المذهبين، البرناسي والمذهب الواقعي أو الواقعية الطبيعية، وفي نفس مدة البرناسية، بدأ يزدهر المذهب الواقعي، والواقعي الطبيعي، هو ما يطلق عليه الواقعية الأوروبية أيضا. والنهضة العلمية للعصر، والفلسفة الوضعية والتجريبية.[3] فبسبب التحولات التي سادت في فرنسا آنذاك، وانتقال رؤوس الأموال في يد الطبقة البرجوازية قامت جذور جديدة من الاستغلال والظلم، لذلك حتما على بعض الأدباء أن يستجيبوا لعامة

[1]-عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي (د.ط)، (د.ت)،ص30

[2] - شفيق بقاعي/سلمي هاشم: المدارس والأنواع الأدبية، منشورات المكتبة المعاصرة صيدا، بيروت 1979- ص80

[3] - ينظر: محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط) 2003 ص 304.

الناس ردا على الظلم الجديد الذي تسبب فيه البرجوازيون، فدعا هؤلاء الأدباء إلى الابتعاد على الخيال المفرط وبالتالي الابتعاد عن الرومنسية والدفاع عن حقوق الإنسان، فالواقعية هي رد فعل على الرومنسية.

" ومن أسباب نشأة الواقعية كذلك، أن الناس سئموا الخيالات الرومانسية، وبعدهم عن عالم الواقع، فحصلت انتقادات هؤلاء، أدت إلى نشوب معارك أدبية مهدت لنشوء حركة تصحيحية، وفي قلب الرومنسية، فظهرت دعوات لإدخال المحسوس"[1]. فالواقعية ظهرت لتصحيح حياة الإنسانية من شوائب الرومانسية، وتعمل على ملاحظة الواقع وتسجيله في صورة محسوسة مجردة من الزخرفة والخيال.

لقد أفضى الفكر الأوروبي إلى شيوع النزعة العلمية، وواكبتها الفلسفة الوضعية منذ مطلع القرن التاسع عشر، وأقصى هذا الإفضاء إلى تسويغ الواقعية الأدبية في النفوس. لأن الواقع زاد الأذواق العلمية التي تنفر بطبيعتها من المبالغات الأدبية، والتهويلات الشعرية، لا تكاد تطمئن إلا إلى التحليل الواقعي والتأويل المادي المحسوس، وفي "هارفي"(Harvey) ما يؤكد هذا الزعم والتقدير، يقول: فالواقعية حركة في القصة الفرنسية بلغت أوجها فيما بين 1850 و 1865م، وقد عكست شغف العصر العلمي بالحقائق المادية، كما عكست شغف الوضعية التقدمية بها، وعكست نفور الناس من الحماسة الغامضة أو بمعنى آخر حماسة الرومنتيكية للغموض والإبهام[2]. ومما ساعد غلى ظهور الواقعية شيوع النزعة العلمية التي تتخذ بطبيعتها من المبالغات الأدبية، حيث عكست الواقعية سخط العصر العلمي بالحقائق المادية، كما عكست نفور الناس من الحماية الغامضة التي من خصائص الرومانسية.

لقد ساعدت عدة ظروف ومعطيات في ظهور هذا المذهب الأدبي وانتشار تأثيره نذكر منها أن هذا المذهب ظهر ردا على سلبيات المذهب الرومانسي كما ظهر نتيجة

---

[1]- أنطونيوس بطرس: الأدب- تعريفه أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ط1 – 2003، ص328.

[2]- حلمي علي مرزوق: الرومانسية، الواقعية النقدية، الواقعية الاشتراكية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، ص107.

التقدم العلمي والدراسات التجريبية، وفي السياق يقول " عبد الرزاق الأصفر" مفصلا: " نشأت الواقعية الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ردا على المدرسة الرومانسية التي أوغلت في الخيال والأوهام والهواجس والأحلام والانطواء على الذات والفرار من الواقع الاجتماعي"[1] وهكذا جاءت الواقعية حركة مناهضة للرومانسية واحتجاجا عليها من الناحية الموضوعية "مما دعا إلى نشوء الواقعية التقدم العلمي والإنجازات والكشوفات الهائلة في مجالات العلوم كالبيولوجيا والعلوم الطبيعية والوراثة وفي الدراسات التجريبية الإنسانية والاجتماعية والمنحى الوضعي في الفلسفة والاهتمام بالطبقات الاجتماعية المتعددة بما فيها الوسطى، الفقيرة والمهملة".[2] فبفضل هذه المعطيات والأسباب وغيرها ظهر المذهب الواقعي في الأدب وتسنى له الانتشار.

3) أنواع الواقعيـــة:

3)1- الواقعيـــــــــــــــــة الانتقاديـــــــــــــــــــة: La Réalisme Critique

لقد اختلف كثير من الأدباء والكتاب حول تسمية هذا النوع من الواقعية، فهناك من يطلق عليها اسم الواقعية النقدية وهناك من يسميها بالواقعية الانتقادية، إنّ لفضة النقدية مستخلصة من النقد وهو طرح البديل أمّا الانتقادية من الانتقاد وهو التركيز فقط على العيوب. إلّا أنّني أميل إلى مصطلح الانتقادية.

" وقد سميت الواقعية الأوروبية، لأنها شاعت بصورة واسعة في أوروبا، وفي فرنسا بالذات، بسبب التوافق الفكري بين الكتاب والروائيين وأصحاب الرؤوس الفلسفية المنغمسة في الصراع البرجوازي، الذين ثاروا على فساد المجتمع وجشع البرجوازية وانحرافاتها فأعملوا فكرهم وأقلامهم في تصوير هذه الجوانب وتضخيمها أحيانا، لتقويم

[1] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د-ط)، 1999، ص 134.

[2]- المرجع السابق، ص 134.

العوج وتصويب المسار نحو الأحسن. وذلك عن طريق كشف جذور العلاقات الرأسمالية وسبل نمائها عبر الأجيال، وفضح عيوبها الأساسية"[1].

فالواقعية الانتقادية وتسمى أيضا الواقعية الأم هي أول واقعية ظهرت في الأدب وانتشرت في فرنسا نتيجة الفساد الذي شاع في المجتمع الفرنسي، فالأدباء والروائيون الواقعيون قد " أوضحوا أن العلاقات البورجوازية، لا بد أن ينتج عنها هذه العيوب، ولهذا يقول بوريس سوتشكوف (B. Stckov)أوصلوا قارئهم في أعمالهم، إلى أن يستنتج استحالة جل تناقضات المجتمع الذي يعيشون فيه"[2]غير أن الواقعية الانتقادية تعمل على تصوير المجتمع كما هو، ورصد عيوبه وحالته حتى سميت بالمتشائمة إلا أن "الغرض الأول لهذه الواقعية، هو الانتقاد. أي تسليط الأضواء على زوايا التخلف والانحلال الخلقي والاجتماعي، ورصد كوامن الخلل والتناقض والتطرف السلوكي والفكري، وهذا ما قامت به معظم روايات تلك المرحلة في فرنسا وألمانيا، يمثلها باختيار الروائي الفرنسي المبدع جوستاف فلوبير (G. Flaubert)في رائعته الخالدة "مدام بوفاري" (Madame. Bovary)لكن ذلك لم يؤد إلى المعالجة المنشودة. فالتوجه هنا، كشف سوءات لا سترها، ونكء الجراح لا ثملها وبلسمتها، والوصول إلى بؤر الضعف، لا إصلاحها وإعادة بناء الحياة من جديد. فالأمر الذي جعل من بطل الواقعية الانتقادية رجلا سلبيا، لأنه برجوازي المنشأ والانتماء بطبيعته وتناقضاته، ولا بد في هذا الحال من إحداث الصدمة الفكرية والتربوية في الذهنية الشائعة، فتنتفض على ذاتها وتنسحب من موقعها إلى موقع و أفق آخرين، وهو ما تحقق في الاتجاه والواقعي الآخر وهو الواقعية الاشتراكية"[3].

لقد قامت الواقعية الانتقادية على ذوق العصر، وعلى الواقع المؤلم في المجتمع البرجوازي فصورته ببشاعته وكراهته، وكشفت الخلل المسكوت عنه في المجتمع البرجوازي، فكان أصل موقفها تصوير الواقع بحقيقة تامة. "والواقعية النقدية تقرر أن

[1] - ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أناكرنينا لولستوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2001، ص15.

[2]- فيصل سمّاق: التطور "التاريخي لمفهوم الواقعية"، مجلة المعرفة، دمشق، العدد213، سنة 1979 ص 177.

[3]- ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أناكارنينا لتولستوي، ص15،16.

مهمة الفن الأدبي تتمثل في نقد الحياة بمفهومها الواسع. والمتأمل في هذا الصنف من الإبداعات يلمس فيها التأكيد على الدلالات الاجتماعية بالمفهوم الإنساني الواسع للكلمة، وليس بالمفهوم العلمي لماركس. كما يلمس كذلك اهتماما كبيرا بالقيم الجمالية والفنية."[1]

غير أن الأدب والفن يستقيان مادتهما من الحياة، والأديب تعبير عن المجتمع ويتغيران بتغير مادتهما، كما أن تعبير الأديب يختلف من بيئة لأخرى، هذا من واقع المتغيرات ومزاج العصر، ونتيجة لهذا فإن المذاهب الفنية والأدبية تلبية لظواهر معنية أخذت تسيطر على المجتمع وتحركه وتتحرك به.

" وقد صور كتاب الواقعية النقدية الحياة الممزقة، الحياة التي تسحق كل ما في الإنسان من جميل وعظيم بلا رحمة ولا هوادة، ولهذا السبب غلبت على رؤيتهم مساحة من التشاؤم. ومع الواقعية النقدية، تتفجر أبنية العالم القديم، وتهتز أركان اليقينيات البرجوازية. فيتشكل لدى الإنسان وعي مأساوي بالحياة، تعبر عنه الرؤية من خلال البطل الاشكالي الممزق بين الحنين إلى الفردوس القيم الأصلية التي ولت إلى غير رجعة من جهة، والتطلع إلى تحقيق الذات الإنسانية في عالم يسوده الاغتراب والضياع والتواصل المستحيل من جهة أخرى."[2] فكانت الواقعية الانتقادية اجتماعية صرفة لم تكلف بتوظيف النظريات العلمية والرؤى الفلسفية ، وإنما قامت على النقد البناء والتحليل الواقعي للبيئة والشخوص. فهي رؤية تبصيرية للفرد والمجتمع ببيئته وعاداته ومساوئه.

" ولقد ترك لنا بلزاك (Balzac) موسوعة في الأدب الواقعي تشمل ما يقارب مئة وخمسين قصة أطلق على مجموعها في آخر حياته اسم " الكوميديا البشرية" وقسمها إلى مجموعات هي:

-مناظر من الحياة الخاصة.

-مناظر من الحياة الإقليمية.

---

[1]- أحمد إبراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب الحديث في مصر، ط3، دار المعارف، القاهرة 1984، ص73.

[2] صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 2004، ص 34.

-مناظر من الحياة الباريسية.

-مناظر من الحياة السياسية.

-مناظر من الحياة الحربية.

-مناظر من حياة الريف."[1] وهنا إشارة للانطلاقة الحقيقة للواقعية الانتقادية عند بلزاك(Balzac).

وقد اشتهر بلزاك(Balzac) بالصدق في التصوير والتحليل والرؤية، لأن الصدق كان هدفه الأساسي في كل إبداعاته، حتى ولو تناقض هذا الواقع الذي يكتب عنه مع آرائه ورغباته الشخصية. وخير دليل على ذلك روايته الشهيرة " الفلاحون" حيث صور مأساة صغار الفلاحين الذين أصابتهم ويلات الرأسمالية في الصميم. وقد أدرك بلزاك (Balzac) بفضل حدسه التاريخي وروحه الاستشراقية أن دوام الحال من المحال، وأن الرأسمالية عرضة في المستقبل لعواصف قوية قد تأتي على الأخضر واليابس، ومن ثم كانت أعماله العظيمة بمثابة قصيدة "رثاء" يرى فيها السقوط الحتمي للرأسمالية. ويعترف قادة الماركسية بالدور التاريخي الإيجابي الذي قامت به الواقعية النقدية، إذ بفضلها تحقق التراكم الثقافي والمجالي الذي مهد لظهور الوعي الاشتراكي في الأدب والفن والفكر و لينين (Lénine) نفسه يقر بهذا الفضل في كتاباته التي تناول الأدب والفن والثورة. وقد كتب عدة مقالات حول تولستي (Tol stoy) رائد الواقعية النقدية في روسيا، عنوانها " ليون تولستوي مرآة الثورة الروسية".[2]

نلاحظ أن الواقعية النقدية، ورغم الانتقادات التي وجهت لها، خاصة من أنصار الواقعية الاشتراكية، إلا أنها لا تزال مصدر إلهام لكثير من المبدعين.

3)1-1-أعلام الواقعية الانتقادية:

[1]- الطيب بودربالة: دار السعيد جابا الله: الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير- بسكرة، العدد 07، ص 07 من 14.

[2]- المرجع السابق، ص 07 من 14.

من أعلام الواقعية الانتقادية القصاص الفرنسي "أنوريه دي بلزاك" (Honore de Balzac) (1799- 1850) الروائي الفرنسي ومؤسس الواقعية في الأدب الأوروبي مع صديقه فلوبير(Flaubert).، بل "يعتبر بلزاك (H(.Balzac الرائد الحقيقي للمذهب الواقعي ... ومن أبرز رواياته: الأب غوريو(Goryeo) و أوجيني غرا نديه(Eugénie grandet) وزنابق الوادي ... إلخ"[1] وبهذا فإن بلزاك (Balzac)هو خالق المذهب الواقعي ومرسي دعائمه.

غوستاف فلوبير(G.Flaubert) (1821- 1880)" الرجل المزدوج كما صرح قائلا: يوجد في شخصي رجلان مختلفان، الواحد ينزع إلى الغنائية والآخر إلى الواقعية وقد تجلى هذا التأرجح في مؤلفاته التي اصطبغ البعض منها بالرومانسية كقصة " سلامبو" (1862) مثلا والبعض الآخر بالواقعية نحو قصص السيدة بوفاري (madame Bovary)(1857)، التربية العاطفية (1869)"[2]. لقد ساهم هذا الرجل كذلك في ظهور وانتشار الاتجاه الواقعي.

شانفلوري(Champ Fleury): (1821-1889) الرائد الواقعي الذي أقر مصطلح الواقعية وبلور هذا المذهب، يقول فليب فان تيغم (van tigm)" لم تجد الواقعية اسمها ومذهبها إلا مع شانفلوري (Champ Fleury)الذي تعود كتابة إلى سنة 1843"[3] وبهذا القول فإن فان تيغم (van tigm) يعترف بالدور الذي أداه شانفلوري(Champ Fleury) في ظهور المذهب الواقعي.

2/ الواقعيـــــة الطبيعيـــــة: le naturalisme

لقد أسهم التطور العلمي وبزوغ النظريات والتجارب التحليلية في ظهور هذا النوع من الواقعية و هو الواقعية الطبيعية حيث " واصل التيار الواقعي عند الغربيين

[1]- عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب. ص146.
[2]- دراقي زبير : محاضرات في الأدب الأجنبي، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، (د.ط)، (د.ت)- ص20
[3]- فيليب فان تيغم: المذاهب الأدبية الكبر في فرنسا، تر:أنطونيوس، منشورات عويدات، باريس ط3،1983 ص240.

تطوره حتى انتهى عند إميل زولا (E. Zola) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مذهب الطبيعية، الذي كان يعتبر استمرارا طبيعيا للواقع إلا أنه في الواقع قد تقدم في نفس الاتجاه تقدما واسعا يكاد يجعل منه مذهبا فلسفيا وأدبيا قائما بذاته"[1]، غير أن هذا النوع من الواقعية هو فرع من الواقعية الأم ظهر في نهاية القرن التاسع عشر على يد إميل زولا (E. Zola). فلا وجود للواقعية الطبيعية بدون إميل زولا (E. Zola)الذي يعتبر خالقها وواضع قواعدها بفضل ما أوتي من موهبة عظيمة، واطلاع علمي لا يستهان به، فقد كتب إحدى وثلاثين قصة تروي تاريخ أسرة فرنسية متعاقبة الشخصيات وهي دلالة شبه علمية كونها تبحث في العاهات الموروثة والمنعكسة عبر البيانات الاجتماعية الأخرى على مدى خمسة أجيال متلاحقة عاشت كلها في عهد الإمبراطورية الثانية".[2] إن أثار زولا(E. Zola) الخالدة جعلت منه رجل الواقعية الطبيعية." وبذالك تعد الواقعية الطبيعية شكل حاد من أشكال الواقعية يلتصق بالمادي والملموس التصاقا مبالغا فيه، فقد عمل الواقعيون الطبيعيون على توثيق الصلة الأدب بالحياة، فراحوا يصورون الواقع الاجتماعي بمختلف أبعاده... واستعانوا بالعلوم التجريبية العصرية ... وأخذوا يطبقون نظرياتها في أدبهم، وعلى هذا الاتجاه بنى إميل زولا(E. Zola) قصصه التجريبية."[3] فالواقعية الطبيعية هي التي أسهمت في ربط العلوم بالأدب وهذا ما نجده في قصص إميل زولا(E. Zola) الذي أخضعها للتجارب العلمية.

إن أول من تأثر بهذا الاتجاه في الفن هو " الرسام كوربيه" (Courbet) (1819-1877) الذي دعا إلى الواقعية في الرسم، وأن على الرسام أن يسجل مشاعره نتيجة لنظرة في أمور مجتمعه وأن لا يغيب عن ذهنه أن المجتمع هو موضوع الفن، إذ الفن تعبير عن المجتمع من أجل المجتمع. وقد نقل دعوته تلك إلى مجال الأدب صديقه شانفلوري (Champ Fleury) (1821-1889) في مجموع مقالات عنوانها " الواقعية"

[1]- محمد مندور: الأدب ومذاهبه، ص 105.
[2]- دراقي زبير: محاضرات في الأدب الأجنبي، ص 57.
[3]- نسيب النشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د.ط) 1984، ص 327.

عام 1857. وبلغ بالدعوة قمتها زولاE. Zolaالذي تأثر أيضا بكتاب " الطب التجريبي" لكلود بيرنارد (cloude Bernard)وقد فرق زولا (E. Zola) بين الملاحظة والتجربة ، فالملاحظة استخدام وسائل البحث لدراسة الظواهر الطبيعية كما هي دون تعبيرها، والتجربة استخدام نفس وسائل البحث بقصد التعبير والتبديل للوصول إلى غاية".[1] لقد خضعت هذه الواقعية للتأثير في الفن تمثلت في لوحة الرسام " كوربيه" (Courbet)الذي صور واقع مجتمعه بألوانه.

وخلاصة مذهب الطبيعية عند زولا (E. Zola) وأتباعه أن الإنسان في الحقيقة ليس أكثر من حيوان تسيره غرائزه وخصائصه العضوية، وتأثر الأدب بهذه النظرية كما تأثرها بعلم النفس. ومن ثم فإن الأدب عند رجال هذا المذهب يجب أن يصور في ضوء من خصائص الإنسان الغريزية والعضوية، حتى إننا نرى " زولا (E. Zola) نفسه يفرد في قصصه جانبا كبيرا منها يتناول في أسرة واحدة هي أسرة " رجون ماكرا(Rougons Makarts) ليؤكد بها مذهب الطبيعة الذي دعا إليه. وقد بالغ من الأدباء في اعتناق وهذا المذهب وظهر بسبب ذلك مبدأ اقتحام النظريات العلمية التجريبية في مجال الأدب."[2]

نلاحظ أن "أميل زولا (E. zola)قد اعتمد في واقعيته الطبيعية على المناهج العلمية وخاصة منهاج الملاحظة والتحليل والتجريب والتوثيق، فكان مدين بصفة خاصة لعلم الوراثة وعلم الأحياء وعلم البيئة والطب التجريبي. ومع نهاية القر التاسع عشر، أخذ نجم الواقعية الطبيعية في الاضمحلال والأفول، وهذا الشيء طبيعي، لأن كل مذهب أدبي يحمل في طياته بذور فنائه، ويزول بزوال اللحظة التاريخية التي أوجدته، فاسح المجال لبروز مذاهب جديدة تقتضيها حتمية المرحلة التاريخية الجديدة.

3)2-1-أعلام الواقعية الطبيعية:

أما عن أعلام الواقعية الطبيعية فهي كالآتي:

1- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 312.

2- حامد حفي داود: تاريخ الأدب الحديث- تطوره- معالمه الكبرى، المدارسه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ط)، (د.ت)، ص 129. 130.

"إميل زولا" (Emile Zola): (1840-1902) " الفرنسي الذي بلغ بالدعوة إلى الواقعية قمتها متأثرا بكتاب "الطب التجريبي" لكود برنارد (cloude Bernard)"[1]، وهو رائد المذهب الطبيعي في فرنسا ومن أبرز ممثليه في الأدب.

" الرسام كوبيه" (Courbet): (1819-1877) "الفرنسي، أول تأثر باتجاه العصر في الفن ودعا إلي الواقعية في الرسم. وكذلك نجد من رواد الواقعية الطبيعية "دوميي" (Domyt) و "ماني (Mani)[2] فكل هؤلاء الرواد كان لهم أثر بارز في الواقعية الطبيعية.

3)3-الواقعية الاشتراكية: La Réalisme Socialiste

ظهرت الواقعية الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي، باعتبارها تطبيقا للفلسفة الماركسية، ومحاولة لتكون وظيفة الفن خدمة المجتمع الاشتراكي وترسيخ بنائه.[3]

فبزوغ هذا النوع الجديد من الواقعية كان ردا على الواقعية الانتقادية المتشائمة والواقعية الطبيعية السطحية، فالواقعية الاشتراكية هي " طريقة فنية تفرض تصوير الواقع تصويرا صادقا محددا تاريخيا من خلال تطوره الثوري بهدف تربية الكادحين تربية اشتراكية. وبذلك فإن جمع الواقعية الاشتراكية بين تصوير الحياة تصويرا صادقا يعبر عن الأدب الاشتراكي والتزامه. وإبراز قوة جديدة لا تقهر وتأكيدها والنضال الفعال ضد رواسب الماضي الرأسمالي في وعي الناس والمساعدة في تعبئة قوى الشعب من أجل بناء الاشتراكية." غير أن ذلك كله هو المعنى الحقيقي لدور الواقعية الاشتراكية في مساعدة الطبقة الفقيرة وتحسين ظروفها.

وهكذا فإن مفهوم الواقعية الاشتراكية ينطوي على إمكانات معرفية كبيرة ويحدد الأدب دورا فعالا أساسه طريقة فنية طليعة جديدة ظهرت لتكون بديلا عن الواقعية

---

[1]-نسيب النشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر المعاصر، ص326.

[2]- المرجع نفسه، ص 326.

[3]- يوسف بكار-د/ خليل الشيخ: الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريد بالتعاون مع جامعة القدس، (د-ط) 2008، ص174.

النقدية.وقد اهتمت الواقعية الاشتراكية بالأدب الواقعي وخصصت له مجالا يناسبها ووجدت فيه خير مصور للواقعية وحافزا للتغيير وتحقيق التقدم.

غير أن مصطلح الاشتراكية والذي تطور من الناحيتين التاريخية والفنية للمذهب الواقعي قد "أعلن عنه رسميا في المؤتمر الأول للكتاب السوفيتيين سنة 1934 إلا أنه من الناحية التاريخية لم يزدهر مع هذا التاريخ ولم تحدد معالمه كمصطلح أدبي منذ ذلك الوقت ولكن الاتجاه يجد جذوره لدى تولستوي (tol stoy) وجوجول (gogol) وجوركي (Gorki)، بل إنّ لوكاتش يرى في بالزاك (balzac) اتجاها على هذا النحو.والواقعية الاشتراكية تهدف إلى إبراز مساوئ النظم الرأسمالية وبؤس العمال وما يلاقونه من استغلال واستعباد، ولهذا فإنّ منظرها محدد الأبعاد بالقيم الاقتصادية الاشتراكية التي ترفض نتائج الفكر البرجوازي وإذا كانت الواقعية الانتقادية منحازة إلى جوانب القبح بالهيئة الاجتماعية فإن الواقعية الاشتراكية أكثر تفاؤلا وإيجابية."[1] وقد كان ازدهار المدرسة الواقعية الاشتراكية في ثلاثينيات القرن العشرين فهي تقوم بتصوير الواقع بأشكاله المختلفة وتحاول تحسين ظروف الحياة بطريقة أو بأخرى.

إن الواقعية الاشتراكية لا تعترف بالرومانسيةِ أو الذاتية، وتعتبرها نتاج النظام الرأسمالي لما فيها من سلبية وجمود يدور حول الذات الفردية، فهي " الأنا" التي تعبر عن عمومية بقدر ما تعبر عن خصوصية حادة لكيان ناقص غير مكتمل منعزل عن بيئته كما أنها ترفض الفن الشعبي في رأي " فيشر" (Fisher)على اعتبار أنه هو الشعب وهو مؤلف بلا فردية، ولا وعي، كما ترفض نظرية الفن للفن باعتبارها وجها مشابها للنظرية الرأسمالية للإنتاج، فليس لها هدف اجتماعي أو إيديولوجي محدد وبالتالي لا تعبر عن أساليب مزخرفة ومعاني خاوية لا هدف ولا غاية من ورائها. كما أنها تنكر الانطباعية وادعائها وإيمانها الزائف بمبادئ تثبت أنها لا تنبع عن اقتناع داخلي عميق[2]، وهذا ما يميزها عن سائر المذاهب الأدبية والفنية، غير أن الواقعية الاشتراكية تقوم على أساس

[1]- حلمي بدير: الاتجاه الواقعي في الرواية العربيةالحديثة في مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط2، 2002- ص30.

[2]- المرجع نفسه، ص 32.

فلسفي مخالف للواقعية الأوروبية، لكنها تتفق معها في أكثر النواحي الفنية، حيث فرق "فيشر" (Fisher)بين الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية والتي يصر على تسميتها بالفن التشكيلي، "إذ أن الواقعية الانتقادية بل وبعبارة أوسع للأدب والفن البرجوازي في مجموعة تتضمن نقدا للواقع الاجتماعي المحيط بالفنان. أما الواقعية الاشتراكية وبعبارة أوسع للأدب والفن الاشتراكي في مجموعة تتضمن المواقف الأساسية من جانب الكاتب أو الفنان على أهداف الطبقات العاملة والفارق هنا هو فارق الموقف لا في الأسلوب"[1] فالواقعية الاشتراكية تنتصر للحياة وتدعو للخير وتساير الإنسانية إلى التقدم، أما الواقعية الانتقادية فهي تسعى لنقد المجتمع.

" إنّ جوهر الواقعية الاشتراكية يكمن في الاخلاص لحقيقة الحياة، بهدف النظر عن مدى ما نكون عليه من جفاء، ويكون التعبير عنه في صورة فنية من الزاوية الشيوعية. أما المبادئ الإيديولوجية الجمالية الأساسية للواقعية الاشتراكية فتتمثل فيما يلي: الوفاء للإيديولوجية الشعبية، وضع النشاط الإنساني في خدمة الشعب وروح الحزب، الارتباط العضوي بنضال الجماهير الكادحة، نزعة إنسانية اشتراكية وأممية، تفاؤل تاريخي، رفض الشكلانية والذاتية وكذا الذاتية الطبيعية."[2]

نستخلص من هذا كله أن الواقعية الاشتراكية واقعية تفاؤلية تهدف للنضال الاشتراكي والوحدة الجماعية فهي تصور المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

والواقعية الاشتراكية تؤكد ضرورة الالتزام وضرورة الأخذ بالموقف الايديولوجي للاشتراكية... وهي تحاول أن تمد بصرها إلى المستقبل فإنها تكون في موقف غاية في الدقة والحذر لذلك عليها أن تكون متشربة بخلاصة الماضي مع الحركة الواقعية للحاضر في محاولتها استشراف المستقبل وبالتالي التزامها لا يكون عبثا. كما أنها من منطلق ايديولوجيتها تختار شخصيتها، فهي ترتكز على الطبقة العاملة الإيجابية التي تسعى للحق

[1]- المرجع السابق، ص33.

[2]- الطيب بودربالة و السعيد جابا الله: "الواقعية في الأدب"، مرجع سابق، ص10 من 14.

والخير والجمال كما أنها ترفض الأسلوب المنمق وتستجيب للأسلوب المعبر معنى ومبنى.[1]

نلاحظ مما سبق أن ظهور الواقعية الاشتراكية كان لهدف مساعدة الطبقات الفقيرة في المجتمع وخاصة طبقة العمال والدفاع عنها من بطش الطبقات الأكثر قوة، فهي تعنى بقضايا المجتمع وتصويب مساره من حافة السقوط والانهيار وتدعو للنضال في سبيل تحقيق الاشتراكية لذلك سميت بالواقعية المتفائلة. وبما أن " الواقعية الاشتراكية تستند إلى الماركسية والماركسية مذهب شامل تجمعه أوصاف ثلاثة فهو مادي، جدلي وتاريخي، فمن هنا كانت الواقعية الاشتراكية مذهبا نقديا شاملا. فالمضمون الطبقي هو الذي يرسم المذهب الأدبي ويحدد قيمته".[2]

نستخلص أن الواقعية الاشتراكية تؤمن بانتصار الطبقة العاملة في العالم كله، وقيام مجتمع اشتراكي يضمن السعادة لجميع أفراده.

3)3-1-أعلام الواقعية الاشتراكية: للواقعية الاشتراكية روادها الخاصين نذكر منهم:

- "مكسيم غوركي" (Maxime Gorki): (1868-1936) روائي ومسرحي روسي، كتب عدة روايات على نهج الكتاب الروائيين الأوروبيين، فمنها رواية "الأم"ويعد كاتب الثورة البلشفية والواقعية الاشتراكية ... ويعتبر غوركي (Gorki) من أئمة المذهب الواقعي الاشتراكي وقد ترك تأثيرا كبيرا في أدباء عصره ومن جاؤوا بعده"[3] فهو الرائد الذي تعرف به الواقعية الاشتراكية.

- "مايا كوفسكي(Maikovski): (1839-1931) يعتبر من رواد الواقعية الاشتراكية فقد" نشأ نشأة اشتراكية ثورية، فتوحد الشعر والثورة في رأسه كما يقول عن

[1]- حلمي بدير: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية في مصر، ص34.
[2]- شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية النقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة، (د.ط)، (د.ت)- ص22
[3]-عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص161.

نفسه ... انتسب إلى الحزب البلشفي السري .. عمل في الصحافة كاتبا مناضلا ذا حس ثوري... وعبر عن هموم الوطن والإنسان"[1]. وبهذا يعد رجل اشتراكي ثوري وينتسب للواقعية الاشتراكية.

- ليون تولستوي (Tol stoy): (1827–1910) القصصي الروسي الذي "وصفه لينين Lénine بأنه مرآة الثورة الروسية، وبهذا فقد نقل ما رآه حوله بكل صدق وأمانة كبيرين، الأمر الذي جعل كل أعماله الفنية والتاريخية ذات مكانة مرموقة وقيمة عالية، فقد عمل على تطوير الواقعية وإخراجها من بوتقتها القديمة.[2]وبهذا فهو لم يساهم في تطوير الأدب الروسي فحسب، ولكن في الآداب الأوروبية عامة.

" وفي إنجلترا نجد بعض الروائيين الواقعيين أمثال: تشارلز (Charles)، ديكنز (Décan) أما رواد الواقعية الاشتراكية في روسيا نجد: جوجول(Gogol)، بوشكين(Pouchkine)، تشيكوف(Chico)."[3]

وكذلك نجد هؤلاء الرواد أمثال " وكافكا (wakavakah)، واسبن (Wssben) (1828–1906) النرويجي، وأيضا ويم فوكنر (W.Foknar) (1897-1962) الأمريكي، ويتشارد الزنجي الأمريكي، وارنست همنغواي (Ernest Hemingway) (1898-1961) ، الأمريكي"[4]. لقد عملوا هؤلاء الرواد على ظهور الواقعية كمذهب أدبي.

ومن أعلام الواقعية الاشتراكية كذلك "ستاندال(Stendal)و ميرميه(Miarnéh) و تيكيرية(Ikire) و هاني (Haine) وبرا نجيه(Brandies) وغيرهم"[5]كان لهم إسهام في الكنز الذهبي لأدب العالم في القرن التاسع عشر، وذلك من خلال دفاعهم عن الإنسان والنضال من أجل تحريره من الاستغلال والعبودية.

---

[1]- المرجع السابق، ص 163.

[2]-الأعرج واسيني: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، (د-ط) 1976، ص373.

[3]- الطيب بودربالة، السعيد جابا الله: الواقعية في الأدب، مرجع سابق،ص03 من 14.

[4]- نسيب النشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص327.

[5] فؤاد مرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبية، ص 110.

وفي الأخير فكل هذه الاتجاهات الثلاثة " الواقعية الانتقادية"، " الواقعية الطبيعية " و " الواقعية الاشتراكية " : شكات مجتمع المذهب الواقعي الذي ترك تأثيرا بارزا في مختلف الآداب، وبرزت فيه أقلام عالمية متميزة مثل " بلزاك Balzac"، " فلوبير" "Flouber"، "زولا" Zola " و " جي دي موباسان " " Guyde Maupassant" ... وتبقى المذاهب الأدبية بصفتها أنساقا يتوارث بعضها بعضا في الزمان والمكان وتعود حقيقة هوية كل مذهب أدبي إلى الوظيفة المهيمنة عليه.

الفصـــــــل الأول:

الواقعيـــة وعلاقتهـــا بالروايـــة الجزائريـــة.

- المبحث الأول: الـــــــواقعيـــة وأصـــولـــها.

- المبحث الثاني: خصـائص ومميـزات الواقعيـــة.

- المبحث الثالث: أثر الواقعية في الرواية الجزائرية.

تعد الواقعية ثالث المذاهب الأدبية من حيث النشأة، وثاني مذهب أدبي بعد المذهب الرومنسي من جهة عمق التأثير. وأول مذهب من جهة طول المدة التي استمر فيها.

تعريف الواقعية لغة واصطلاحا:

يمكن أن نميز الواقعية في معناها اللغوي والاصطلاحي:

كلمة الواقعية مأخوذة من " الواقع، هو اسم فاعل من: وقع. بمعنى نزل وسقط وحصل، وأتى ... فيقال: وقع به ماكر، نزل، وقع منه الأمر موقعا حسنا أو سيئا تثبت لديه. وتوقع الشيء ينتظره وتخوفه". [1]يتضح لنا من هذا التعريف أنه قد ألمّ بالمعاني الرئيسية لكلمة "واقع" التي تقابلها "لفظة Realمن اللفظ اللاتيني Réalise أي ما له علاقة بالشيء والمادة Matterوالاسم منه Realnes ".[2]

ومعناها اللغوي يختلف بحسب المجال المستخدم فيه مثل،" حدث كواقع، فهو ليس خياليا أو تصورا، فهو واقعي أو صادق مثل قولنا: إنه يفضل الأدب على الحياة الواقعية، فهو ما ليس صناعيا فهو أصيل مثل اللؤلؤ الطبيعي، أو هو ما ليس فيخ مظهرية أو تظاهرا مثل: الحزن الحقيقي Real Grief. أو في مجال القانون، فيما هو ثابت، مثل الأصول الثابتة، الأراضي والمباني، فهو ملكية حقيقية أو عامة تمييزا لها عن الملكية الخاصة Personel. أو في مجال الرياضيات ما له علاقة بالأعداد الصحيحة. ومنها اللفظ المستخدم كصفة كقولنا الحقيقي والواقعي وهو يشير إلى الشيء الموجود حقيقة، وبالتالي فهو ملموس، مادي قابل للقياس، أو ما يشير إلى الأشياء الطبيعية. وتأتي بمعنى النزعة الواقعية Réalismeوهو واقعي أو عملي". [3]ويستخدم ضد كلمة تصوري أو خيالي Imagineriezفي مجالات الأدب والفن، وتركز لفظة الواقعية على التصور الموضعي.

---

[1]- د/ ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984 ص309

[2]- د/ إبراهيم مصطفى: نقد المذاهب المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية ط1 2000، ص46.

[3]- نفس المرجع. ص 47.

والأكيد أن "المدلول الاصطلاحي للفظة الواقعية كمذهب أدبي لا ينفصل انفصالا كليا عن المدلول الاشتقاقي المستفاد من كلمة واقع، فالواقعية تسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسراره وإظهار خفاياه وتفسيره". [1] فهي محاولة تهدف إلى تصوير الحياة الطبيعية الإنسانية بأوسع معانيها وبمختلف أشكالها، وبهذا فالواقعية هي "ليست الأخذ عن واقع الحياة وتصويره بخيره وشره كالآلة الفوتوغرافية، كما أنها ليست معالجة لمشاكل المجتمع ومحاولة حلها أو التوجه نحو هذا الحل، كما أنها ليست ضد أدب الخيال أو الأبراج العاجية وإنما هي فلسفة خاصة في فهم الحياة والأحياء وتفسيرهما، أو هي وجهة نظر خاصة ترى الحياة من خلال منظار أسود، وترى أن الشر هو الأصل فيها وأن التشاؤم والحذر هما الأجدر ببني البشر لا المالية والتفاؤل" [2]. وهي بهذا المعنى ترفض أن ترفع الواقع إلى المستوى المثال أو بمعنى آخر ترفض أن تصور الواقع بمظهره الكامل المثالي " والواقعية لا تبشر بشيء، ولا تدعو إلى سلوك خاص في الحياة، فكل هذا بعيد عن طبيعتها، وإنما كل همها هو فهم واقع الحياة وتفسيره على نحو الذي تراه. وه و فهم وتفسير قد ينتج عنهما الخير وقد ينتج عنهما الشر:" فالخير يأتي من التبصير بالواقع حتى لا يقع الأخيار فريسة للأشرار، كما أنها قد تنفر من قبح هذا الواقع وتدفع إلى إصلاحه. آما الشر فقد يأتي من التشكيك في القيم المثالية الأخلاقية" [3] فالواقعية هي تصوير للإنسان والطبيعة بأشكالهما وأصولهما و تفاعلهما مع العناية بواقع الحياة اليومية وتفصيلاتها لكل واحد منهما.

" فالواقعية كمصطلح فني مذهبي، ظهرت في فرنسا 1826، في سياق النقد الأدبي الفني، وكانت قبل ذلك، صفة عامة تطلق على نتاج فكري يعتمد الحياة الإنساني والطبيعية وكل ما يدخل في نطاق الإدراك الحسي، والأمور الجارية في محيط الإنسان" [4]، ولكن ليس هذا التحديد الدقيق للواقعية من حيث هي مذهب أدبي" وقد كانت الواقعية تعبير عن ذلك الروح الجديد الذي سيطر على الحياة في ذلك الوقت، وهو الروح العلمي، فقد

---

[1] د/ محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط2004، ص93

[2]- نفس المرجع ص 94.

[3]- نفس المرجع – ص 97.

[4]- د/ ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب معالم وانعكاسات. ص 310

ترك الواقعيون خيالات الرومنتيكية وأحلامهم، وراحوا يلتمسون الحقيقة في الواقع الملموس فليس للواقعيين إيمان بعالم علوي فوق المحسوس، ولكنهم يؤمنون بالحقيقة الواقعة، وهذه الحقيقة يمكن الوصول إليها عن طريق التجربة" [1] والواقعية هي الصفة الأدبية التي تطلق على واقع الحياة الحقيقية للإنسان والطبيعية وهي رد فعل على الرومنسية التي تنصرف إلى الخيال والوجدان العاطفي.

نشأة الـــــــــواقعية:

الواقعية هي المذهب الذي يهتم بوصف الحياةاليومية كماهي دون أي مثالية، ورغم أنها ليست مقتصرة على قرن واحد أو مجموعة من الكتاب، إلا أنه قد ارتبط اسمها بالحركة الأدبية التي ظهرت في فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر ومن تم انتشرت في أنحاء أوروبا. " فالواقعية ظهرت في نفس الوقت الذي ظهرت فيه البرناسية، لكن البرناسية اتجهت إلى الشعر الغنائي بينما اتجهت الواقعية إلى القصة والمسرحية". [2]فنشأة المدرسة الواقعية ظهرت في شكل اتجاه أدبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر متأثرة بالنهضة العلمية. إن الأسباب الفلسفية والاجتماعية التي ساعدت على موت الرومنتيكية، هي التي ساعدت على قيام المذهبين، البرناسي والمذهب الواقعي أو الواقعية الطبيعية، وفي نفس مدة البرناسية، بدأ يزدهر المذهب الواقعي، والواقعي الطبيعي، هو ما يطلق عليه الواقعية الأوروبية أيضا. والنهضة العلمية للعصر، والفلسفة الوضعية والتجريبية.[3] فبسبب التحولات التي سادت في فرنسا آنذاك، وانتقال رؤوس الأموال في يد الطبقة البرجوازية قامت جذور جديدة من الاستغلال والظلم، لذلك حتما على بعض الأدباء أن يستجيبوا لعامة الناس ردا على الظلم الجديد الذي تسبب فيه البرجوازيون، فدعى هؤلاء الأدباء إلى الابتعاد على الخيال المفرط وبالتالي الابتعاد عن الرومنسية والدفاع عن حقوق الإنسان، فالواقعية هي رد فعل على الرومنسية.

---

[1]-د/ عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي (د.ط)، (د.ت)،ص30

[2] - شفيق بقاعي/سلمي هاشم: المدارس والأنواع الأدبية، منشورات المكتبة المعاصرة صيدا، بيروت 1979- ص80

[3] - ينظر: د/ محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط) 2003 ص 304.

" ومن أسباب نشأة الواقعية كذلك، أن الناس سئموا الخيالات الرومنسية، وبعدهم عن عالم الواقع، فحصلت انتقادات هؤلاء، أدت إلى نشوب معارك أدبية مهدت لنشوء حركة تصحيحية، وفي قلب الرومنسية، فظهرت دعوات لإدخال المحسوس" [1]. فالواقعية ظهرت لتصحيح حياة الإنسانية من شوائب الرومنسية، فهي تعمل على ملاحظة الواقع وتسجيله في صورة محسوسة مجردة من الزخرفة والخيال.

لقد أفضى الفكر الأوروبي إلى شيوع النزعة العلمية، وواكبتها الفلسفة الوضعية منذ مطلع القرن التاسع عشر، وأقصى هذا الإفضاء إلى تسويغ الواقعية الأدبية في النفوس. لأن الواقع زاد الأذواق العلمية التي تنفر بطبيعتها من المبالغات الأدبية، والتهويلات الشعرية، لا تكاد تطمئن إلا إلى التحليل الواقعي والتأويل المادي المحسوس، وفي "هارفي" " Harvey " ما يؤكد هذا الزعم والتقدير، يقول: فالواقعية حركة في القصة الفرنسية بلغت أوجها فيما بين 1850 و 1865م، وقد عكست شغف العصر العلمي بالحقائق المادية، كما عكست شغف الوضعية التقدمية بها، وعكست نفور الناس من الحماسة الغامضة أو بمعنى آخر حماسة الرومنتيكية للغموض والإبهام [2]. ومما ساعد غلى ظهور الواقعية شيوع النزعة العلمية التي تتخذ بطبيعتها من المبالغات الأدبية، حيث عكست الواقعية سخط العصر العلمي بالحقائق المادية، كما عكست نفور الناس من الحماية الغامضة التي من خصائص الرومنسية.

لقد ساعدت عدت ظروف ومعطيات في ظهور هذا المذهب الأدبي وانتشار تأثيره نذكر منها أن هذا المذهب ظهر ردا على سلبيات المذهب الرومنسي كما ظهر نتيجة التقدم العلمي والدراسات التجريبية، وفي السياق يقول " عبد الرزاق الأصفر" مفصلا: " نشأة الواقعية الأوروبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ردا على المدرسة الرومنسية التي أوغلت في الخيال والأوهام والهواجس والأحلام والانطواء على الذات والفرار من الواقع الاجتماعي... وهكذا جاءت الواقعية ردا على فعل الرومنسية واحتجاجا عليها من

---

[1]- د/ أنطونيوس بوطرس: الأدب- تعريفه أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ط1 – 2003، ص328.

[2]- د/ حلمي علي مرزوق: الرومنسية، الواقعية النقدية، الواقعية الاشتراكية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، ص107.

الناحية الموضوعية... مما دعا إلى نشوء الواقعية التقدم العلمي والإنجازات والكشوفات الهائلة في مجالات العلوم كالبيولوجيا والعلوم الطبيعية والوراثة وفي الدراسات التجريبية الإنسانية والاجتماعية والمنحى الوضعي في الفلسفة والاهتمام بالطبقات الاجتماعية المتعددة بما فيها الوسطى، الفقيرة والمهملة. [1] فبفضل هذه المعطيات والأسباب وغيرها ظهر المذهب الواقعي في الادب وتسنى له الانتشار.

أنواع الرومنسية:

1/ الواقعية الانتقادية: La Réalisme Critique

" وقد سمية الواقعية الأوروبية، لأنها شاعت بصورة واسعة في أوروبا، وفي فرنسا بالذات، بسبب التوافق الفكري بين الكتاب والروائيين وأصحاب الرؤوس الفلسفية المنغمسة في الصراع البرجوازي، الذين ثاروا على فساد المجتمع وجشع البرجوازية وانحرافاتها فأعملوا فكرهم وأقلامهم في تصوير هذه الجوانب وتضخيمها أحيانا، لتقويم العوج وتصويب المسار نحو الأحسن. وذلك عن طريق كشف جذور العلاقات الرأسمالية وسبل نمائها عبر الأجيال، وفضح عيوبها الأساسية"[2].

فالواقعية الانتقادية وكما تسمى الواقعية الأم عي أول واقعية ظهرت في الأدب وانتشرت في فرنسا وكانت نتيجة الفساد الذي شاع في المجتمع الفرنسي، فالأدباء والروائيين الواقعيين قد " أوضحوا أن العلاقات البورجوازية، لا بد أن ينتج عنها هذه العيوب، ولهذا يقول بوريس سوتشكوف B. Sotshckof أوصلوا قارئهم في أعمالهم، إلى أن يستنتج استحالة جل تناقضات المجتمع الذي يعيشون فيه" [3]غير أن الواقعية الانتقادية تعمل على تصوير المجتمع كما هو، ورصد عيوبه وحالته حتى سميت بالمتشائمة إلا أن "الغرض الأول لهذه الواقعية، هو الانتقاد. أي تسليط الأضواء على زوايا التخلف

---

[1]- عبد الرزاق الأصفر : المذاهب الأدبية لدى الغرب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.(د-ط) 1999- ص 134.

[2] - د/ ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أناكرنينا لولستوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2001، ص15.

[3]- فيصل سماق: التطور "التاريخي لمفهوم الواقعية" مجلة "المعرفة" دمشق: عدد 213 سنة 1979، ص 177.

والانحلال الخلقي والاجتماعي، ورصد كوامن الخلل والتناقض والتطرف السلوكي والفكري، وهذا ما قامت به معظم روايات تلك المرحلة في فرنسا وألمانيا، يمثلها باختيار الروائي الفرنسي المبدع جوستاف فلوبيرG. Flauber في رائعته الخالدة " مدام بوفاري" M. Bovary لكن ذلك لم يؤدي إلى المعالجة المنشودة. فالتوجه هنا، كشف سوءات لا سترها، ونكء الجراح لا ثملها وبلسمتها، والوصول إلى بؤر الضعف، لا إصلاحها وإعادة بناء الحياة من جديد. فالأمر الذي جعل من بطل الواقعية الانتقادية رجلا سلبيا، لأنه برجوازي المنشأ والانتماء بطبيعته وتناقضاته، ولا بد في هذا الحال من إحداث الصدمة الفكرية والتربوية في الذهنية الشائعة، فتنتفض على ذاتها وتنسحب من موقعها إلى موقع و أفق آخرين، وهو ما تحقق في الاتجاه والواقعي الآخر وهو الواقعية الاشتراكية"[1].

لقد قامت الواقعية النقدية على ذوق العصر، وعلى الواقع المؤلم فب المجتمع البرجوازي فصورته ببشاعته وكراهته، وكشفت الخلل المسكوت عنه في المجتمع البرجوازي، فكان أصل موقفها تصوير الواقع بحقيقة تامة. "والواقعية النقدية تقرر أن مهمة الفن الأدبي تتمثل في نقد الحياة بمفهومها الواسع. والمتأمل في هذا الصنف من الإبداعات يلمس فيها التأكيد على الدلالات الاجتماعية بالمفهوم الإنساني الواسع للكلمة، وليس بالمفهوم العلمي لماركس. كما يلمس كذلك اهتماما كبيرا بالقيم الجمالية والفنية."[2]

غير أن الأدب والفن يستقيان مادتهما من الحياة، والأديب تعبير عن المجتمع ويتغيران بتغير مادتهما، كما أن تعبير الأديب يختلف من بيئة لأخرى، هذا من واقع المتغيرات ومزاج العصر، ونتيجة لهذا فإن المذاهب الفنية والأدبية تلبية لظواهر معنية أخذت تسيطر على المجتمع وتحركه وتتحرك به.

" وقد صور كتاب الواقعية النقدية الحياة الممزقة، الحياة التي تستحق كل ما ف ي الإنسان من جميل وعظيم بلا رحمة ولا هوادة، ولهذا السبب غلبت على رؤيتهم مساحة من التشاؤم. ومع الواقعية النقدية، تتفجر أبنية العالم القديم، وتهتز أركان البقبنيات

[1]- د/ ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أناكارنينا لتولستوي، ص15،16.
[2]- أحمد ابراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب الحديث في مصر، ط3، دار المعارف، القاهرة 1984، ص73.

البرجوازي. فيتشكل لدى الإنسان وعي مأساوي بالحياة، تعبر عنه الرؤية من خلال البطل الاشكالي الممزق بين الحنين إلى الفردوس القيم الأصلية التي ولت إلى غير رجعة من جهة، والتطلع إلى تحقيق الذات الإنسانية في عالم يسوده الاغتراب والضياع والتواصل المستحيل من جهة أخرى. فكانت الواقعية النقدية اجتماعية صرفة لم يتكلف فيها تطبيق النظرية العلمية والرؤى الفلسفية الجاهزة، وإنما قامت على النقد البناء والتحليل الواقعي للبيئة والشخوص." [1] فالواقعية النقدية هي رؤية تبصيره للفرد والمجتمع ببيئته وعاداته ومساوئه.

" ولقد ترك لنا بلزاك Balzac موسوعة في الأدب الواقعي تشمل ما يقارب مئة وخمسين قصة أطلق على مجموعها في آخر حياته اسم " الكوميديا البشرية" وقسمها إلى مجموعات هي:

- مناظر من الحياة الخاصة.
- مناظر من الحياة الإقليمية.
- مناظر من الحياة الباريسية.
- مناظر من الحياة السياسية.
- مناظر من الحياة الحربية.
- مناظر من حياة الريف." [2] وهنا إشارة للانطلاقة الحقيقة للواقعية النقدية عند بلزاك Balzac.

وقد اشتهر بالزك Balzac بالصدق في التصوير والتحليل والرؤية، لأن الصدق كان هدفه الأساسي فب كل ابداعاته، حتى ولو تناقض هذا الواقع الذي يكتب عنه مع آرائه ورغباته الشخصية. وخير دليل على ذلك روايته الشهيرة " الفلاحون" حيث صور مأساة صغار الفلاحين الذين أصابتهم ويلات الرأسمالية في الصميم. وقد أدرك بلزك Balzac بفضل حدسه التاريخي وروحه الاستشراقية أن دوام الحال من المحال، وأن الرأسمالية

---

[1]- صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف-ط2، 1950، ص 33،34.

[2]- د/ الطيب بودربالة: دار السعيد جابا الله: الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خضير- بسكرة، العدد 07، ص 07 من 14.

عرضة في المستقبل لعواصف قوية قد تأتي على الأخضر واليابس، ومن ثم كانت أعماله العظيمة بمثابة قصيدة "رثاء" يرى فيها السقوط الحتمي للرأسمالية. ويعترف قادة الماركسية بالدور التاريخي الإيجابي الذي قامت به الواقعية النقدية، إذ بفضلها تحقق التراكم الثقافي والمجالي الذي مهد لظهور الوعي الاشتراكي في الأدب والفن والفكر و لينين Lénine نفسه يقر بهذا الفظل في كتاباته التي تناول الأدب والفن والثورة. وقد كتب عدة مقالات حول تولستي Tolsstoy رائد الواقعية النقدية في روسيا، عنوانها " ليون تولستوي مرآة الثورة الروسية".[1]

نلاحظ أن الواقعية النقدية، ورغم الانتقادات التي وجهت لها، خاصة من أنصار الواقعية الاشتراكية، إلا أنها لا تزال مصدر إلهام لكثير من المبدعين.

أعلام الواقعية الانتقادية:

من أعلام الواقعية الانتقادية القصاص الفرنسي "أنوريه دي بلزاك" Horné de Balzac (1799- 1850) الروائي الفرنسي ومؤسس الواقعية في الأدب الأوروبي مع صديقه فلوبير G. Flaubert، بل "يعتبر بلزاك H.Balzac الرائد الحقيقي للمذهب الواقعي ... ومن أبرز رواياته: الأدب غوريو Ghorioh و أوجيني غراندیه O.Grandih وزنابق الوادي ... إلخ"[2] وبهذا فإن بلزاك H.Balzac هو خالق المذهب الواقعي ومرسي دعائمه.

غوستاف فلوبير G.Flaubert (1821- 1880)" الرجل المزدوج كما صرح قائلا: يوجد في شخصي رجلان مختلفان، الواحد ينزع إلى الغنائية والآخر إلى الواقعية وقد تجلى هذا التأرجح في مؤلفاته التي اصطبع البعض منها بالرومنسية كقصة " سلامبو" (1862) مثلا والبعض الآخر بالواقعية نحو قصص السيدة بوفاري U.Bovary (1857)، التربية العاطفية (1869)"[3]. لقد ساهم هذا الرجل كذلك في ظهور وانتشار الاتجاه الواقعي.

---

[1]- نفس المرجع ص 07 من 14.

[2]- عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب. ص146.

[3]- دراقي زبير : محاضرات في الأدب الأجنبي، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، (د.ط)، (د.ت)- ص20

شانفلوري Champ Fleury: (1821-1889) الرائد الواقعي الذي أقر مصطلح الواقعية وبلور هذا المذهب، يقول فليب فان تيغم F.F. Tierm " لم تجد الواقعية اسمها ومذهبها إلا مع شانفلوري Champ Fleury الذي تعود كتابة إلى سنة 1843"[1] وبهذا القول فإن فان تيغم F Tierm يعترف بالدور الذي أداه شانفلوري Champ Fleury في ظهور المذهب الواقعي.

2/ الواقعية الطبيعية: la Réalism Naturelle

لقد ساهم التطور العلمي وبزوغ النظريات والتجارب التحليلية في ظهور هذا النوع من الواقعية و هو الواقعية الطبيعية حيث " واصل التيار الواقعي عند الغربيين تطوره حتى انتهى عند إميل زولا E.Zola في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مذهب الطبيعية، الذي كان يعتبر استمرارا طبيعيا للواقع إلا أنه في الواقع قد تقدم في نفس الاتحاه تقدما واسعا يكاد يجعل منه مذهبا فلسفيا وأدبيا قائما بذاته" [2]، غير أن هذا النوع من الواقعية هو فرع من الواقعية الأم ظهر في نهاية القرن التاسع عشر على يد "إميل زولا E.Zola". فلا وجود للواقعية الطبيعية بدون إميل زولا E.Zola الذي يعتبر خالقها وواضع قواعدها بفضل ما أوتي من موهبة عظيمة، واطلاع علمي لا يستهان به، فقد كتب إحدى وثلاثين قصة تروي تارخ أسرة فرنسية متعاقبة الشخصيات وهي دلالة شبه علمية كونها تبحث في العاهات الموروثة والمنعكسة عبر البيانات الاجتماعية الأخرى على مدى خمسة أجيال متلاحقة عاشت كلها في عهد الإمبراطورية الثانية".[3] إن أثار زولا E.Zola الخالدة جعلة منه رجل الواقعية الطبيعية." وبذالك تعد الواقعية الطبيعية شكل حاد من أشكال الواقعية يلتصق بالمادي والملموس التصاقا مبالغا فيه، فقد عمل الواقعيون الطبيعيون على توثيق الصلة الأدب بالحياة، فراحوا يصورون الواقع الاجتماعي بمختلف أبعاده... واستعانوا بالعلوم التجريبية العصرية ... وأخذوا يطبقون نظرياتها في أدبهم،

---

[1]- فيليب فان تيغم: المذاهب الأدبية الكبر في فرنسا، ترأنونيوس، منشورات عويدات، باريس ط3،1983 ص240.

[2]- د/ محمد مندور: الأدب ومذاهبه، ص 105.

[3]- دراقي زبير: محاضرات في الأدب الأجنبي، ص 57.

وعلى هذا الاتجاه بنى "إميل زولا E.Zola " قصصه التجريبية."[1] فالواقعية الطبيعية هي التي ساهمت في ربط العلوم بالأدب وهذا ما نجده في قصص إميل زولا E.Zola الذي أخضعها للتجارب العلمية.

إن أول من تأثر بهذا الاتجاه في الفن هو " الرسام كوربيه" " Courbet (1819-1877) الذي دعا إلى الواقعية في الرسم، وأن على الرسام أن يسجل مشاعره نتيجة لنظرة في أمور مجتمعه وأن لا يغيب عن ذهنه أن المجتمع هو موضوع الفن، إذ الفن تعبير عن المجتمع من أجل المجتمع. وقد نقل دعوته تلك إلى مجال الأدب صديقه شانفلوري " Champ Fleury" (1821-1889) في مجموع مقالات عنوانها " الواقعية" عام 1857. وبلغ بالدعوة قمتها زولا E. Zola الذي تأثر أيضا بكتاب " الطب التجريبي" لكلودي رار Klodirnar وقد وقد فرق زولا E.Zola بين الملاحظة والتجربة ، فالملاحظة استخدام وسائل البحثلدراسة الظواهر الطبيعية كما هي دون تعبيرها، والتجربة استخدام نفس وسائل البحث بقصد التعبير والتبديل للوصول إلى غاية". [2] لقد خضعت هذه الواقعية لتأثير في الفن تمثل في لوحة الرسام " كوربيه" " Courbet " الذي صور واقع مجتمعه وعبر عنها بألوانه.

وخلاصة مذهب الطبيعية عند زولا E.Zola وأتباعه أن الإنسان في حقيقة ليس أكثر من حيوان تسيره غرائزه وخصائصه العضوية، وتأثر الأدب بهذه النظرية كما تأترهالم النفس. ومن ثم فإن الأدب عند رجال هذا المذهب يجب أن يصور في ضوء من خصائص الإنسان الغريزية والعضوية، حتى إننا نرى " زولا E.Zola نفسه يفرد في قصصه جانبا كبيرا منها يتناول في أسرة واحدة هي أسرة " روجون ماكار" Rojoun

[1]- د/ نسيب النشاوي: مدخا إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د.ط) 1984، ص 327.

2- د/ محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 312.

Makara ليوكد بها مذهب الطبيعة الذي دعا إليه. وقد بالغ من الأدباء في اعتناق وهذا المذهب وظهر بسبب ذلك مبدأ اقتحام النظريات العلمية التجريبية في مجال الأدب."[1]

نلاحظ أن "أميل زولا " E. zola" قد اعتمد في واقعيته الطبيعية على المناهج العلمية وخاصة منهاج الملاحظ ة والتحليل والتجريب والتوثيق، فكان مدين بصفة خاصة لعلم الوراثة وعلم الأحياء وعلم البيئة والطب التجريبي. ومع نهاية القر التاسع عشر، أخذ نجم الواقعية الطبيعية في الاضمحلال والأفول، وهذا الشيء طبيعي، لأن كل مذهب أدبي يحمل في طياته بذور فنائه، ويزول بزوال اللحظة التاريخية التي أوجدته، فاسحا المجال لبروز مذاهب جديدة تقتضيها حتمية المرحلة التاريخية الجديدة.

أعلام الواقعية الطبيعية: أما عن أعلام الواقعية الطبيعية فهي كالآتي:

"إميل زولا" " Emille Zola ": (1840-1902) " الفرنسي الذي بلغ بالدعوة إلى الواقعية قمتها متأثرا بكتاب "الطب التجريبي" لكودبرنار Clodibernar[2]، وهو رائد المذهب الطبيعي في فرنسا ومن أبرز ممثليه في الأدب.

" الرسام كوبيه" Coubet ": (1819-1877) "الفرنسي، أول تأثر باتجاه العصر في الفن ودعا إلي الواقعية في الرسم. وكذلك نجد من رواد الواقعية الطبيعية "دومي" Doumier" و "ماني" " Manet"[3] فكل هؤلاء الرواد كان لهم أثر بارز في الواقعية الطبيعية.

الواقعية الإشتراكية: La Réalisme Social

1- د/ حامد حفي داود: تاريخ الأدب الحديث. تطور- معالمه الكبرى، المدارس ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د.ط)، (د.ت)، ص 129. 130.

[2]- د/نسيب النشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر،ص326.

[3]- نفس المرجع، ص 326.

ظهرت الواقعية الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي، باعتبارها تطبيق للفلسفة الماركسية، ومحاولة لتكون وظيفة الفن خدمة المجتمع الاشتراكي وترسيخ بنائه.[1]

فبزوغ هذا النوع الجديد من الواقعية كان ردا على الواقعية الانتقادية المتشائمة والواقعية الطبيعية السطحية، فالواقعية الاشتراكية هي " طريقة فنية تفرض تصوير الواقع تصويرا صادقا محدد تاريخيا من خلال تطوره الثوري بهدف تربية الكادحين تربية اشتراكية. وبذلك فإن جمع الواقعية الاشتراكية بين تصوير الحياة تصويرا صادقا يعبر عن الأدب الاشتراكي والتزامه. وابراز قوة جديدة لا تقهر وتأكيدها والنضال الفعال ضد رواسب الماضي الرأسمالي في وعي الناس والمساعدة في تعبئة قوى الشعب من أجل بناء الاشتراكية."[2] غير أن ذلك كله هو المعنى الحقيقي لدور الواقعية الاشتراكية في مساعدة الطبقة الفقيرة وتحسين ظروفها.

وهكذا فإن مفهوم الواقعية الاشتراكية ينطوي على إمكانات معرفية كبيرة ويحدد الأدب دورا فعالا أساسه طريقة فنية طليعة جديدة ظهرت لتكون بديلا عن الواقعية النقدية. وقد اهتمت الواقعية الاشتراكية بالأدب الواقعي وخصصت مجالا يناسبها ووجدت فيه خير مصور للواقعية وحافز للتغيير وتحقيق التقدم.

غير أن مصطلح الاشتراكية والذي تطور من الناحيتين التاريخية والفنية للمذهب الواقعي قد "أعلن عنه رسميا في المؤتمر الأول للكتاب السوفياتيين سنة 1934 إلا أنه من الناحية التاريخية لم يزدهر مع هذا التاريخ ولم تحدد معالمه كمصطلح أدبي منذ ذلك الوقت ولكن الاتجاه يحدد جذوره ولدى "تولستوي" Tostoy و "جوجول " Gougoul " و "جوركي" "Gorkih "، بل إن " لوكاتش" " Locatshe " يرى في بالزك Balzac اتجاها على هذا النحو. والواقعية الاشتراكية تهدف إلى إبراز مساوئ النظم الرأسمالية وبؤس العمال وما يلاقونه من استغلال واستعباد، ولهذا فإن منظرها محدد الأبعاد بالقيم الاقتصادية الاشتراكية التي ترفض نتائج الفكر البرجوازي وإذا كانت الواقعية النقدية منحازو إلى

[1]- د/ يوسف بكار-د/ خليل الشيخ: الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريد بالتعاون مع جامعة القدس، (د-ط) 2008، ص174.

[2]- فؤاد مرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبية، مديرية الكتب والمطبوعات.ط2 1996,ص221.

جوانب القبح بالهيئة الاجتماعية فإن الواقعية الاشتراكية أكثر تفاؤلا وإيجابية." [1] وقد كان ازدهار المدرسة الواقعية الاشتراكية في ثلاثينيا ت القرن العشرين وكان اهتمامها الوحيد تصوير مساوئ المجتمع ومحاولة حلها وتحسينها بطريقة وبأخرى.

إن الواقعية الاشتراكية لا تعترف بالرومنسية أو الذاتية، وتعتبرها نتاج النظام الرأسمالي لما فيها من سلبية وجمود يدور حول الذات الفردية، فهي " الأنا" التي تعبر عن عمومية بقدر ما تعبر عن خصوصية حادة لكيان ناقص غير مكتمل منعزل عن بيئته كما أنها ترفض الفن الشعبي في رأي " فيشر" " Fisher " على اعتبار أنه هو الشعب وهو مؤلف بلا فردية، ولا وعي، كما ترفض نظرية الفن للفن باعتبارها وجها متشابها للنظرية الرأسمالية للإنتاج، فليس لها هدف اجتماعي أو إيديولوج ي محدد وبالتالي لا تعبر عن أساليب مزخرفة ومعاني خاوية لا هدف ولا غاية من ورائها. كما أنها تنكر الأنطباعية وادعائها وإيمانها الزائف بمبادئ تثبت أنها لا تنبع عن اقتناع داخلي عميق [2]، وهذا ما يميزها عن سائر المذاهب الأدبية والفنية، غير أن الواقعية الاشتراكية تقوم على أساس فلسفي مخالف للواقعية الأوروبية، لكنها تتفق معها في أكثر النواحي الفنية، حيث فرق "فيشر" " Fisher " بين الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية والتي يصر على تسميتها بالفن التشكيلي، إذ ان الواقعية الانتقادية بل وبعبارة أوسع للأدب والفن البرجوازي في مجموعة تتضمن نقد للواقع الاجتماعي المحيط بالفنان. أما الواقعية الاشتراكية وبعبارة أوسع للأدب والفن الاشتراكي في مجموعة تتضمن المواقف الأساسية من جانب الكاتب أو الفنان على أهداف الطبقات العاملة والفارق هنا هو فارق الموقف لا في الأسلوب" [3] فالواقعية الاشتراكية تنتصر للحياة وتدعو للخير وتساير الإنسانية إلى التقدم، أما الواقعية الانتقادية فهي تسعى لنقد المجتمع والأديب معا.

" إلى أن جوهر الواقعية الاشتراكية يكمن في الاخلاص لحقيقة الحياة، بهدف النظر عن مدى ما نكون عليه من جفاء، ويكون التعبير عنه في صورة فنية من الزاوية

---

[1]- د/ حلمي بدير: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط2، 2002- ص30.

[2]- نفس المرجع السابق، ص 32.

[3]- نفس المرجع السابق، ص33.

الشيوعية. أما المبادئ الإيديولوجيا الجمالية الأساسية للواقعية الاشتراكية فتتمثل فيما يلي: الوفاء للإيديولوجية الشعبية، وضع النشاط الإنساني في خدمت الشعب وروح الحزب، الارتباط العضوي بنضال الجماهير الكادحة، نزعة إنسانية اشتراكية وأممية، تفاؤل تاريخي، رفض الشكلانية والذاتية وكذا الذاتية الطبيعية.[1]

نستخلص من هذا كله أن الواقعية الاشتراكية واقعية تفاؤلية تهدف للنضال الاشتراكي والوحدة الجماعية فهي تصور المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. والواقعية الاشتراكية تؤكد ضرورة الالتزام وضرورة الأخذ بالموقف الايديولوجي للاشتراكية... وهي تحاول أن تمد بصرها إلى المستقبل فإنها تكون في موقف غاية في الدقة والحذر لذلك عليها أن تكون متشربة بخلاصة الماضي مع الحركة الواقعية للحاضر في محاولتها استشراف المستقبل وبالتالي التزامها لا يكون عبثا. كما أنها من منطلق ايديولوجيتها تختار شخصيتها، فهي ترتكز على الطبقة العاملة الإيجابية التي تسعى للحق والخير والجمال كما أنها ترفض الأسلوب المنمق وتستجيب للأسلوب المعبر معنى ومبنى.[2]

نلاحظ مما سبق أن ظهور الواقعية الاشتراكية كلن لهدف مساعدة الطبقات الفقيرة في المجتمع وخاصة طبقة العمال والدفاع عنها من بطش الطبقات الأكثر قوة، فهي تعنى بقضايا المجتمع وتصويب مساره من حافة السقوط والانهيار وتدعو للنضال في سبيل تحقيق الاشتراكية وبالتالي فتسمى الواقعية المتفائلة. وبما أن " الواقعية الاشتراكية تستند إلى الماركسية والماركسية مذهب شامل تجمعه أوصاف ثلاثة فهو مادي، جدلي وتاريخي، فمن هنا كانت الواقعية الاشتراكية مذهبا نقديا شاملا. فالمضمون الطبقي هو الذي يرسم المذهب الأدبي ويحدد قيمته"[3]

نستخلص أن الواقعية الاشتراكية تؤمن بانتصار الطبقة العاملة في العالم كله، وقيام مجتمع اشتراكي يضمن السعادة لجميع أفراده.

---

[1]- د/ الطيب بودربالة، السعيد جابا الله: "الواقعية في الأدب"، مرجع سابق، ص10 من 14.

[2]- حلمي بدير: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية في مصر، ص34.

[3]- د/ شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية النقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة، (د.ط)، (د.ت)- ص22

أعلام الواقعية الاشتراكية: للواقعية الاشتراكية روادها الخاصين نذكر منهم:

- "مكسيم غوركي" " Maxime Gorki": (1868-1936) روائي ومسرحي روسي، كتب عدة روايات على نهج الكتاب الروائيين الأوروبيين، فمنها رواية "الأم "ويعد كاتب الثورة البلشفية والواقعية الاشتراكية ... ويعتبر غوركي Gorki من أئمة المذهب الواقعي الاشتراكي وقد ترك تأثيرا كبيرا في أدباء عصره ومن جاؤوا بعده" [1] فهو الرائد الذي تعرف به الواقعية الاشتراكية.

- "مايا كوفسكي " Maya Kofssci": (1839–1931) يعتبر من رواد الواقعية الاشتراكية فقد" نشأ نشأة اشتراكية ثورية، فتوحد الشعر والثورة في رأسه كما يقول عن نفسه ... انتسب إلى الحزب البلشفي السري .. عمل في الصحافة كاتبا مناضلا ذا حس ثوري... وعبر عن هموم الوطن والإنسان" [2]. وبهذا يعد رجل اشتراكي ثوري وينتسب للواقعية الاشتراكية.

- ليون تولستوي " L.Tolsstoy": (1827–1910) القصصي الروسي الذي "وصفه لينين Linine بأنه مرآة الثورة الروسية، وبهذا فقد نقل ما رآه حوله بكل صدق وأمانة كبيرين، الأمر الذي جعل كل أعماله الفنية والتاريخية ذات مكانة مرموقة وقيمة عالية، فقد عمل على تطوير الواقعية وإخراجها من بوتقتها القديمة. [3] وبهذا فهو لم يساهم في تطوير الأدب الروسي فحسب، ولكن في الآداب الأوروبية عامة.

" وفي إنجلترا نجد بعض الروائيين الواقعيين أمثال: تشارلز Tcharlz، ديكنز Dicanz أما رواد الواقعية الاشتراكية في روسيا نجد: غوغول Gougoul، بوشكين Boshcine، تشيكوف Shicofe."[4]

وكذلك نجد هؤلاء الرواد أمثال " وكافكا Wakafaka"، "واسبن Wssben (1828–1906) النرويجي، وأيضا "وايم فوكنر W.Foknar" (1897-1962) الأمريكي، "ويتشارد

---

[1]-عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص161.

[2]- نفس المرجع السابق، ص 163.

[3]- د/ الأعرج واسيني: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، (د-ط) 1976، ص373.

[4]- د/ الطيب بودربالة، د/ السعيد جابا الله: الواقعية في الأدب، مرجع سابق،ص03 من 14.

رايت Wishard Rayte الزنجي الأمريكي، "وارنست همنغواي W.Hemingwier" (1898-1961)، الأمريكي[1]. لقد عملوا هؤلاء الرواد على ظهور الواقعية كمذهب أدبي.

ومن أعلام الواقعية الاشتراكية كذلك "ستاندال Standal" و "ميرميه Mayarmy" و " تيكيرية Tikirih" و " هاني Hayné" وبرانجيهBrangie وغيرهم"[2] كان لهم اسهام في الكنز الذهبي لأدب العالم في القرن التاسع عشر، وذلك من خلال دفاعهم عن الإنسان والنضال من أجل تحريره من الاستغلال والعبودية.

وفي الأخير فكل هذه الاتجاهات الثلاثة " الواقعية الانتقادية"، " الواقعية الطبيعية " و " الواقعية الاشتراكية " : شكات مجتمع المذهب الواقعي الذي ترك تأثيرا بارزا في مختلف الآداب، وبرزت فيه أقلام عالمية متميزة مثل " بلزاك Balzac"، " فلوبير" "Flouber"، "زولا" Zola " و " جي دي موباسان " " Guyde Maupassant" ... وتبقى المذاهب الأدبية بصفتها أنساقا يتوارث بعضها بعضا في الزمان والمكان وتعود حقيقة هوية كل مذهب أدبي إلى الوظيفة المهيمنة عليه.

---

[1]- د/ نسيب النشاوي: مدخل ألى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص327.

[2]- فؤاد مرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبية، ص 110.

المبحث الأول: الواقعيـــــة وأصولهـــا

عرفت الواقعية كنظرية أدبية وكمذهب أدبي في نصف القرن التاسع عشر في فرنسا وكانت لها مدرسة خصبة في تاريخ الفن ولها معالم ومبادئ تقوم عليها.

"فلدراسة تاريخ المدرسة الواقعية يجب أن نرجع أولا وقبل كل شيء إلى بداية ظهور كلمة الواقعية رياليسم Réalisme بالفرنسية بصورة رسمية في تاريخ الأدب فلأول مرة كان استعمالها مع الرسام "كوربيه" (Courbet) سنة 1855 حين كتبها وهو يعني بها وقت ذاك معنى محددا وجديدا يشير إلى نظرية فنية كانت يومها تعتبر ثورية الكلمة في ذاتها لم تكن جديدة وان كانت محدثة فالواقعية اسمها ظهرت سنة 1803 بالرغم أن صفة واقعي كانت معروفة منذ أكثر من الزمان قبل هذا التاريخ. إلا أن مفهوم الواقعية التي أطلقها "كوربيه" Courbetعلى نظريته الجديدة وعلى لوحاته في منتصف القرن التاسع عشر"[1].

"فالظهور الحقيقي للواقعية كلفظ أو كمذهب أدبي يرتبط ارتباطا عفويا بالقرن التاسع عشر وبفلسفة الحياة الاجتماعية.

والمتتبع لتاريخ النقد الأدبي في الغرب يجد أن الكتاب الألمان أول من طبق هذا المصطلح على الأدب، فيتحدث "شيلير" (Schiller)في كتاباته عام 1798 عن الأدباء الفرنسيين فيصفهم بأنهم (واقعيين أكثر منهم مثاليين) ولم يلبث أن شاع المصطلح بين الأدباء الرومانتيكيين الألمان لكن بمدلول المبدأ "البسيط"دون أن يعني تحديدا أنه مدرسة أدبية أو إشارة إلى مذهب معين. ومن ثمة التقطه منهم الكتاب الفرنسيين وأقاموا منه على عاداتهم في تخمير البذور الغربية واحتضانها، فنجد احدهم يؤكد سنة 1836أن المذهب

[1]- ليلى عنان : الواقعية في الأدب الفرنسي ، دار المعارف، القاهرة، (د- ط)، (د-ت)، ص04-05.

الذي يكتسب كل يوم أرضا جديدة، والذي يؤدي إلى المحاكاة الأمينة لا للإعمال الفنية الكبرى وإنما لأصولها التي تقدمها الطبيعة يمكن أن يسمى بالواقعية[1].

يمكن القول أن بذور المذهب الواقعي كانت عند الألمان الرومانتيكيين، لكن في صورة غير مباشرة حتى راح النقاد يطلقون على كل مذهب انتقل إلى ارض جديدة ووصف واقعها بحقيقة تامة في عمله الأدبي اسم الواقعية.

وفي سنة 1833حاول الناقد الفرنسي جوستاف بلانش(Gustave Blanche) أن يستخدم هذا المصطلح بناءا على قناعته مع العلم انه كان قد اشتهر بعدائه للرومانسية إذ أن الواقعية عنده لا تزال ترادف المادية، وتعني بالوصف الدقيق للملابس والعادات خاصة في القصص التاريخي لمطابقة العصر الذي تدور فيه أحداثها، فهو يؤكد أن الواقعية تعني بتحديد الترس الحربي وغيرها من الأدوات والأشياء الملموسة، وعلى هذا فليست الواقعية عنده سوى مجرد اللون المحلي المميز والوصف الطبيعي الدقيقين ولم يتحدد مدلول كلمة الواقعية بدقة إلا من خلال خصومة حادة نبتت بين النقاد التشكيليين من جانب ، و كاتب قصصي من الدرجة الثانية هو شامفلوري(Chamflory) من جانب آخر إذ قام "هذا الكاتب عام 1887 بنشر مجموعة من المقالات الأدبية في مجلد أطلق عليه اسم "الواقعية" كما اصدر مجلة مع أصدقائه تحمل نفس التسمية "الواقعية" وقد كان اثر "بلزاك" (Balzac)....حاسما في انتصار الواقعية، إذ انه هو الذي ادخل المصطلح milieu الفرنسي الذي يعني البيئة أو الوسط بكل موجباته المتشابكة في الأدب ونقله عند علماء الاجتماع وكبار النقاد والكتاب مثل "تين" "Tien"و "زولا(Zola)إذ تعد مقدمته التي كتبها عام 1842 لمجموعته القصصية الكبرى "الكوميديا البشرية" والتي أذاع فيها هذا المصطلح لأول مرة، بمثابة إعلان عن المذهب الواقعي"[2]

[1]– صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، ص 13– 14.

[2] المرجع السابق، ص15.

إن أعمال النقاد التي وظفت الوجه الحقيقي للواقعية هو الذي ساعد على انتشارها ومن بين آثارهم نجد أعمال شامفلوري (Chamflory) وبلزاك(Balzac)الذي لقب بالأب الشرعي للواقعية.

لقد تطور مفهوم الواقعية واتخذ منحى أضيق من ذي قبل ، لكنه أعمق، إلا وهو البحث عن الحقائق الإنسانية والاجتماعية حتى قيل "الواقعية هي مدرسة الإخلاص في الفن"[1]أي هي مدرسة الحقيقة والواقع بالقول والفعل وهذا ما ظهر في أعمال رواد الواقعية.

إن تشعب مفاهيم الواقعية واتجاهاتها بحسب البلدان والإيديولوجيات، ما بين اتجاه غربي يهتم بالجانب الأخلاقي الم غل في المجتمع، واتجاه آخر يعنى بالجانب المشرق من المجتمع فيحض عليه وينتصر له من دون التنكر للجوانب الأخرى فقد أطلق على الاتجاه الأول اسم: "الواقعية الانتقادية وعلى اتجاه آخر، يجاري نتائج المختبرات العلمية والفلسفية التجريبية اسم : الطبيعانية Naturalisme حيث شاعت هذه الاتجاهات في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والربع الأول من القرن العشرين متأثرا كل واحد منها بفلسفة معينة، كالفلسفة الوضعية أو التجريبية لصاحبها أوغست كونت(August Conte)(ت1877) والفلسفة الاجتماعية أو الاشتراكية التي وضعها سان سيمون (Simoun)(ت1825) وتدعو إلى إصلاح المجتمع لإسعاد الفرد وإشاعة روح التعاون والتضحية بين الأفراد "[2]، فاختلاف الفلسفات هو الذي قسم الواقعية إلى أنواع أخضعتها لمبادئ فلسفية معينة تقوم عليها .

[1] إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط3 ، 2004، ص 55 .

[2] محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت،1973، ص 328-329

"فتعدد الفلسفات والنظريات الفكرية المتداخلة والمتطورة كالفلسفة الاشتراكية التي تأثرت كليا بالثورة البلشفية من الفلسفة الماركسية اللينينية التي دعت إلى التحرر من نير الإقطاع وطبقات النبلاء، والعناية بالطبقات العمالية والفلاحين والحرفيين "[1]، غير أن هذا النوع من الواقعية يدعوا إلى التحرر والمساواة والتغير حتى سميت بالواقعية المتفائلة.

يعود تاريخ ولادة الواقعية الانتقادية إلى أواخر العشرينيات في القرن التاسع عشر أما ازدهارها فكان في أوربا الغربية في الثلاثينات والأربعينات . ففي هذه الأعوام ظهر إبداع"بيرانجيه"(Béranger) "ستندال" (Sandel) و"ميرميه"(Miarnéh) و "بلزاك"(Balzac) و "فلوبير" (Flaubert) في فرنسا .و"ديك نزا" (Dikanza) و "تيكيريه" (Ticrieh) و"برونتي"(Brunît) و "غاسكيل" (Gasille) في انجلترا و"هايني" (Haine) وغيره من الشعراء الثوريين في ألمانيا[2]، لقد كان بزوغ المذهب الواقعي نتيجة ظروف مر بها المجتمع الأوربي سواء في المجال التاريخي أو الثقافي، حيث شهدت فرنســـــا بعد ثورة 1848الإطاحة بالملكيـــــة واستبدالهـــا بالجمهوريـــــة فتغير نظام الحياة وأصبح الاهتمام أكثر بالمسائل الاقتصادية والمادية، وهذا التطور شمل جميع الميادين داخل المجتمع الفرنسي ، ولكن هذه الرفاهية ولدت صراع بين الطبقات البرجوازية والعمال، وتحولت الحياة إلى عنف وسيطرة الأقوى.

"إن ظهور البذور الأولى للمذهب الواقعي كان على يد "برودون" (brodent) (1865) و"تين" (Tine) (ت1893) و "سانت بوف " (S.Bef) (ت1869) صاحب أحاديث الاثنين (1851–1862) حيث يقول عن مهمة الناقد الاجتماعي والأدبي أنها تهدف إلى دراسة كل مخلوق أي كل أديب وكل عبقرية بالرجوع إلى طبيعة وظروف حياته لوصفه وصفا حيا وصادقا"[3].

[1] فيصل سمّاق: التطور التاريخي لمفهوم الواقعية،مرجع سابق، ص 177

[2] فؤاد مرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبية، ص 200.

[3] دراقي زبير : " محاضرات في الأدب الأجنبي"، ص 88

و الفضل كله يعود لهؤلاء الأدباء ويرجع لفهم وإتقان العمل الأدبي للناقد الأدبي بصفته صورة المجتمع وممثل المذهب الأدبي.

أما في روسيا فإن تطور الواقعية يرتبط ارتباطا وثيقا بالحرب الوطنية التي خاضتها روسيا في عام 1816 ضد نابليون وبالحركة التي قادها أول جيل من الثوريين الروس، إلا أن استخدام هذا المصطلح في روسيا في الستينات من القرن الماضي حيث اتخذه بعض النقاد شعار لهم ، على انه كان يعني لديهم حينئذ مجرد التحليل والنقد "فالكاتب الواقعي ليس إلا عاملا يفكر" [1] أي مهنة الواقعي تصوير ما يخطر بباله وما يوجد في الواقع ، هذا على حد تعبير أحد النقاد ، وهو نفس التعبير الذي استخدمه "ماو"(Maw) فيما بعد حيث برز موقف "ديستو يفسكي"(Dostoïevski) بقوله "إن تصوري عن الواقع والواقعية يختلف إلى مدى بعيد عن تصورات نقادنا وكتابنا الواقعيين فمثاليتي أكثر واقعية من واقعيتهم" [2].وبهذا يشير إلى عمق القضايا التي تناولها وقارنها بسطحية تصوير النقاد للحياة ويضيف قائلا "يطلقون على خطأ الكاتب السيكولوجي ، بينما انأ في حقيقة الأمر واقعي باسمي ما تعنيه الكلمة، إذ أنني أصور أغوار النفس البشرية العميقة"[3].

وكثيرا ما يختلط لدى الكتاب خاصة في العالم العربي مصطلح الواقعية بكلمة أخرى لازمته في بداية الأمر ، ولم تتميز عنه تماما إلا من خلال بعض الدراسات الأدبية الحديثة نسبيا ، وهي كلمة الطبيعة التي بدورها تعبيرا فلسفيا قديما، ثم طبقت بعد ذالك في مجال الأدب في فرنسا على وجه الخصوص واتخذت معنى الالتزام الحرفي الأمين بالطبيعة، وقد أعلنها "زولا" (Zola)كشعار له عام 1868 في مقدمة إحدى قصصه وشرح بها نظرياته في القصة العلمية التجريبية.

---

[1]صلاح فضل:منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 19

[2]المرجع السابق، ص 20.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطور المذهب الواقعي تطورا رهيبا ، يجافي مفاهيم رجال الدين وتمخض هذا التطور عن مذهب جديد هو "مذهب الطبيعية" في الأدب وقد ساعد على هذا التطور فإن هذا القرن كان قرن الكشف والتقدم الواسع في علوم الطبيعة "ولم يكتف رجال "مذهب الطبيعية" بالملاحظة المباشرة في واقع الأشياء بل زادوا على ذلك التجربة الفاحصة فأكثروا من التجارب العضوية، والبيولوجية لمعرفة حقائق الإنسان حيث ظهر لهذا المذهب الجديد فلاسفة رادوه ونشروا أعلامه بين رجال الفكر والأدب وكان زعيمهم "ايميل زولا" (E. Zola) (ت1902) الذي صاغ خصائص المذهب في عدة مقالات ثم جمعها في كتاب سماه "القصة التجريبية" [1] وهنا إشارة إلى الواقعية الطبيعية التي ظهرت مع رائدها "زولا" في نظرياته العلمية إلا أن اسم هذا النوع من الواقعية اختلف فيه كثيرا من الكتاب نجد مثلا الكاتب ياسين الأيوبي في كتابه مذاهب الأدب معالم وانعكاسات يطلق عليها اسم الواقعية الطبعانية، ومحمد مندور في كتابه مذاهب الأدب يسميها الواقعية الطبيعية ، فالتسمية الصحيحة في نظري هي الواقعية الطبيعية استنادا إلى نظريات "ايميل زولا" (E. Zola) كعلم الوراثة والطب وغير ذلك ، فكلها راجع إلى أصل الطبيعة وخاضع إلى تجارب وملاحظات.

"والشيء الأكيد في المذهب الطبيعي انه لم يكن وليد ثورة عاتية بل هو نتاج التطور الطبيعي الذي توصل إليه القرن التاسع عشر الذي وصف بأنه قرن العلوم والنظريات العلمية والفنية، حيث تمكنت الواقعية "إميل زولا" (E. Zola) من صهر مذهبين أدبيين عريقين هما الكلاسيكية والرومنطيقية الأولى عبر المنهج العقلي والموضوعي والثانية عبر التحليل النفسي الاجتماعي لكلا الفرد والأمة "[2].ومعنى هذا أن الرومنطيقية هي الأولى بجذور الملاحظة العلمية، أما اتجاه الواقعية الطبيعية كان حسب رائدها "اميل زولا" الذي يتجه نحو الإحساس بالواقع وبالحقيقة أكثر من الإ حساس بالجمال.

[1]- حامد حفي داود: تاريخ الأدب الحديث- تطوره- معالمه الكبرى- مدارسه، ص129.
[2] ياسين الأيوبي: " مذاهب الأدب ، معالم و انعكاسات " ص 324

"ويعود الفضل إلى هذا الرجل "إميل زولا" (E. Zola) في بلورة مفهوم الواقعية الطبيعية وذلك من خلال كتاباته التي بدأ بنشرها منذ سنة 1866 حيث كان على اتصال بالجمعية العلمية في مدينة اكس لاشابال وتوجت هذه الكتابات بكتابي "الحملة" و"الرواية التجريبية" الذين نشرهما زولا سنـــــــــــة1988"[1].

أما جذور الواقعية الاشتراكية فتعود إلى تسميتها حيث يعود الفضل إلى المؤتمر الأول لأدباء السوفيات الذي انعقد بموسكو من 17أوت إلى فاتح1سبتمبر1934، ويعتبر هذا المؤتمر تحولا تاريخيا في مسار الثقافة السوفيتية.

تمثل الواقعية الاشتراكية بالنسبة لأدباء الاتحاد السوفيتي التي كانوا وقتها بصدد وضع الأسس لمجتمع اشتراكي مثالي ونموذجي، الروح الملحمية الجديدة التي تؤسس للبطل الاشتراكي، صانع التاريخ ومستقبل الإنسانية ، وأوضحت الواقعية الاشتراكية بداية من 1934 هي الإيديولوجية الأدبية الرسمية التي لا يجوز الخروج عنها في الإبداعات الفنية والأدبية.

"وقد انتشرت الواقعية الاشتراكية في كل دول العالم تنظيرا و إبداع ا و رأى فيها بعض كبار الأدباء العالميين مشروع بعث إنسانية جديدة ، ومن روادها الكبار ، الشاعر الروسي "مايكوفسكي" (Maïakovski) والأديب الروسي الذائع الصيت "غوركي" (Gorki) و"لويس أرغون"(louis argon) في فرنسا و ناظم حكمت في تركيا و بابلونير واد في الشيلي و غارسيا لوركا في إسبانيا "[2] .إذ أن انتشار هذا النوع من الواقعية كان بشكل واسع و الفضل يرجع لتسميتها فهي واقعية تفاؤلية تنادي بحق الجماعة و المشاركة في الأهداف و المبادئ.

أما انتشار الواقعية في الجزائر فقد بدأت مع كتابات محمد أديب فهو خير ممثل للواقعية.الاشتراكية في ثلاثية المتكونة من الدار الكبيرة ، الحريق ، النول ، تعبر عن انتفاضة الفلاحين الجزائريين من جهة نظر تقدمية و يسارية ، و كل مكونات الواقعية

[1] الطيب بودربالة والسعيد جاب الله: الواقعية في الأدب، مرجع سابق، ص 08 من 14
[2] المرجع السابق، ص 08 من 14.

الاشتراكية الحاضرة في هذه الثلاثية و(خاصة الحريق) مثل انتفاضة الفلاحين و العمال الرؤية التقدمية الديناميكية الاجتماعية البطولة الجماعية والبطل الايجابي، روح التفاؤل ، الحركة العالمية المناهضة للاستعمار و الرأسمالية ، و شفافية الكتابة ...ألخ

و مع انحصار المد الاشتراكي في العالم ، نجد أن الواقعية الاشتراكية شأنها شأن الواقعية النقدية و كثيرا من المذاهب الأدبية و الفنية بدأت تضمحل وتضعف بعد أن عرفت عصرها زمن ازدهارها الطوباوية الاشتراكية في العالم [1] حيث شبهت الواقعية الاشتراكية بالواقعية النقدية رغم اختلاف مبادئها في كونها انتشرت بسرعة واضمحلت فلهذا لا يمكن معرفة الجذور الحقيقية التي تكونت منها الواقعية الاشتراكية.

لقد أدى الوعي الطبقي و التطور التاريخي لأساليب العيش و تحصيل الثروة و التحرر من قيود التحكم الاجتماعي لدى طبقات الفلاحين و العمال و الحرفين إلى شعور متنام شيئا فشيئا بقيمة الإنسان ، و ماله و صيرورته ، وما يتتبع ذلك من بحث عن معاني الحق و الخير و الجمال و هو "ما سعت إليه الرومنطيقية في بادئ الأمر ثم شط بها المسار و جمعت إلى عالم الانفعالات الذاتية الغامضة و الأحلام الشبه المرضية فكانت يقظة ضميرية وجودية طبقية أسست لأدب واقعي أكثر معاناة للطبقات الشعبية أذكتها الفلسفة الماركسية اللينينية و عدلت من نسيجها المثالي وواقعها الفني الخالص إلى بناء يجمع الثقافة الملتزمة إلى جمال سبك ووضوح الأفكار و المقاصد ، وصل إلى ذروة راقية في الثروة الاشتراكية الروسية بقيادة الحزب العمالي الفلاحي البلاشفة 1917"[2] وكأن الأهداف التي نادت بها الواقعية الاشتراكية كانت في الرومنطيقية عند ظهورها غير أنها مالت إلى الجانب العاطفي الوجداني.

وإذا كانت نشأة المنهج الواقعي الاشتراكي أو الواقعية الاشتراكية في الساحة الثقافية العربية لم يقم على الجذور نفسها التي أدت إلى ميلاد هذا المنهج في الساحة الثقافية الغربية فإن ذلك يعود إلى اختلاف الدوافع الأيديولوجية والمناخ الثقافي بين

[1] المرجع نفسه، ص 13 من 14.
[2] ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب،معالم وانعكاسات، ص 327

الساحتين، غير أن هذا لم يمنع من ظهور محاولات نقدية وأدبية اهتمت بالرؤية الواقعية في ضوء أبعادها الاشتراكية، مما جعل هذه الأعمال تصبو إلى تكوين منهج تركيبي يستمد مادته من خصوصية الممارسة الأدبية العربية، ولكنه يستمد في نظيراته على الواقعية الاشتراكية إلا أن فرنسا وانجلترا وروسيا سباقة في اكتشاف المنهج الواقعي في الإبداع الأدبي .

"ويعود ازدهار الواقعية كمذهب أدبي إلى عاملين أساسيين هما:

1- تطور جنس القصة في الأدب الأوربي الحديث.

2- طبيعة التركيب الفكري والوجداني للشعب الفرنسي.

فلا شك أنه إبتداءا من القرن التاسع عشر تصدرت فرنسا ميدان الإبداع القصصي عموما، ولم يتبعها في ذلك إلا روسيا وأمريكا "[1] .إذ تعد فرنسا من أكثر البلدان ولها بنقد الذات وشغفها بالنزعة الفردية ، ولهذا فقد عبر الأدب الفرنسي في أكثر من الأحيان على المشاعر الأوربية بأكملها.

كان"تولستوي(TOL STOY) ينصح "جوركي" (Gorki) بأن يقرأ عن الواقعيين الفرنسيين، وكان "هنري جيمس" (Henri Jimsse) يقول إنه لا يحترم من الإنتاج المعاصر له إلا أعمال الكتاب الفرنسيين، ومن الناحية أخرى فان الأدب الفرنسي قد عنى بالفرد المنعزل بنفس القدر الذي اهتم فيه بالمجتمع كوحدة متكاملة وبمشكلة حفظ التوازن بينهما حيث يرى مؤرخو الحركة الواقعية أن أولى مراحلها التي تسمى عادة بالواقعية العظمى قد سادت في فرنسا وانتشرت منها إلى أوربا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ثم أعقبتها حركة جزر بعد ثورة 1847 خاصة خلال حكم نابليون الثالث وبداية الجمهورية الثالثة"[2].

[1] صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، ص 13 - 14 .
[2] المرجع السابق، ص 14.

إن هؤلاء النقاد يؤكدون أن الواقعية الفرنسية هي الأولى بالظهور و يدعون إلى قراءة الأدب الواقعي الفرنسي .

"و بعد الثورة الفرنسية عام 1830 و سلسلة الهزات و الانتفاضات الفلاحية في روسيا ، تتطور واقعية بوشكين على أساس الفهم العميق لنموذجية الإنسان الاجتماعية لشخصيته و مصيره، حيث غدت الواقعية الطريق المستقيم لتطور الأدب الروسي"[1] .

نستنتج مما سبق ذكره أن للواقعية جذور قامت عليها ، فهي لم تنبت من فراغ فكانت لها أفكار سباقة تنادي بظهورها في القرن التاسع عشر في فرنسا ، و سرعان ما انتقلت إلى إنجلترا ثم إلى روسيا، غير أن ازدهارها و تطورها كان في فرنسا خاصة في الأدب الروائي ، إلا أن الرواية في فرنسا ولدت و هي واقعية على يد كبار الأدباء من أمثال:فلوبير(FLAUBERT)، بلزاك (Balzac)، ستندال (Stendal)، زولا (Zola)... الخ، "لعبت رواية القرن الثامن العشر دورا جسيما في تطور الواقعية بتصويرها الصادق والصحيح لأخلاق و بسيكولوجيا الناس في ذلك العصر جسد الكتاب الإنجليز الواقعيون بأمانة و من شتى الجوانب بيئة و أخلاق المجتمع الإنجليزي الذي قام بعد ثورة 1688 مثلا رواية فيلينغ " تاريخ توم جونس "المعتبرة قمة الرواية الواقعية في القرن الثامن عشر"[2] فالممثل الحقيقي للواقعية في الفن هو " الرواية "و"المسرح " و فيهما يصور الأديب واقع الحياة الإنسانية بكاملها أي بخيرها و شرها ، و بهذا يترك الأديب رسالة للقارئ و للجمهور و يجعله يشاركه في الواقع المعاش و يبحث عن الحلول إذا وجدت عقدة .

[1] س بتروف: الواقعية النقدية في الأدب تر،شوكت يوسف، ص64.65

[2]- المرجع نفسه، ص 38.

المبحث الثاني: خصائص ومميزات الواقعية.

من الطبيعي أن لكل مذهب من المذاهب الأدبية خصائص تميزه عن غيره، فالمذهب الواقعي له خصائص ومميزات يتسم بها، ويمكن حصر خصائص كل نوع من الواقعية فيما يلي:

1) خصائص الواقعية الانتقادية:

تميزت الواقعية الانتقادية بتصوير جوانب الشر والفساد في النفوس الإنسانية حيث الشهوات المستعرة والغرائز المستشرية، من غير إهمال الجوانب الأخرى التي يقصد إليها قصدا بقدر ما تمثل استكمالا للوحة الحياة التي يسعى الأديب الواقعي إلى تبين نتوءاتها ومعالم قبحها فتبصر المرء عاقبة ما يحصل ويتجنب ما ستطاع[1]، فالواقعية الانتقادية تمثل سجلا تاريخيا، أو هي آلة فوتوغرافية لتصوير حياة النفس البشرية بمساوئها ومحاسنها.

تعنى الواقعية الانتقادية بالتصوير الدقيق للوقع، إذ يقدم "بلزاك (Balzac) في مقدمته لأحدث مجموعات أعماله الصادرة عام 1838 خطابا فيه مهام الواقعية، إذ يقول: "يعترف المؤلف أنه قد سيطرت عليه فكرة لحوح هي وصف المجتمع بالكامل وكما هو عليه، بكل فصائله، بكل جوانبه الرفيعة والمعيبة، بكل فوضى فئاته المختلطة وتشابك وتعقيد مبادئه بمتطلباته الجديدة وتناقضاته القديمة، ليست لدى المؤلف الشجاعة الكافية ليعترف أنه أقرب للمؤرخ منه إلى الروائي ... ويستطيع أن يضيف أنه في زماننا حيث يتناقش وينقد كل شيء حيث لم يعد يصدق لا رجل الدين ولا الشاعر، حيث يتبرؤون اليوم مما أعلنوه أمس، في مثل هذا الزمن لم يعد الشعر ممكنا، ويرى المؤلف أنه لم يبق شيء يستحق اهتمام عدا هذا المرض الاجتماعي الخطيرالذي يمكن أن يصور فقط من خلال تصوير المجتمع".[2]

[1]- ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أنا كارنينا، ص18.
[2] - س. بيتروف :الواقعية النقدية ، تر: شوكت يوسف ،ص70.

يرى أصحاب المدرسة الواقعية ومنهم "بلزاك " (Balzac) في خطابه السابق ضرورة معالجة الواقع برصد أشكاله كما هي وتسليط الأضواء على الجوانب الهامة وإيصالها إلى الجمهور بأسلوب يسجل وصف الواقع بدقائقه دون غرابة أو نفور، فالواقعية موضوعية لأنها تصور الحياة اليومية بصدق وأمانة، والفنان أو الروائي الواقعي موضوعي لأنه يبتعد عن ذاته، بل يعالج مشاكل المجتمع من خلال حياته اليومية دون ترك بصمة الذات، فالواقعية مذهب عامة الناس بمختلف مستوياتهم.

تدعو الواقعية الأوروبية إلى الإبداع الأدبي، وذلك بالملاحظة الدقيقة في تصوير الأشياء الخارج يّ عن الذات، فكل عمل أدبي واقعي يعكس ذات صاحبه . يقول "سيمونوف"(simonoph): "لا يكتفي أن يقص الروائي ما حدث فعلا، لكي يصف بصدق، بل يكفيه أن يقص ما يمكن حدوثه، وبذلك يصبح أدبه معقولا ومشاكل للحياة"[1]

والواقعيون يتخذون مادة تجاريهم في قصصهم ومسرحياتهم من واقع الطبقات الدنيا، ومن أدنى أعماق النفس الإنسانية، فهم يصورون الشر والآفات في تجاربهم لتنبيه المجتمع إلى تلاقي إنتاج مثل هذه التجارب، إذ أن "الكاتب الواقعي يخلق أشخاصه ويرسم ملامحها ويصور البيئة كما يشاء، ولكن ضمن الأطر المألوفة التي لا تشعر إزاءها بالغرابة والاستنكار، وبهذا يشبه اللوحة الفنية التي يرسمها الفنان مستمدا عناصرها من الواقع الخارج الحقيقي ومخيلا لك واقعا آخر هو واقعه الخاص الذي يراه من زاويته الإبداعية الحرة، فنراه يتلاعب بالألوان والضلال والخطوط والأشكال والتكوين كما يشاء دون الابتعاد عن منطق الواقع وطبائعه في الإنسان والمحيط "[2].فالواقعية إذن هي تصوير مبتكر للإنسان والطبيعة محاكاتها بدقة وتفصيل دونما تفريق بين جميل وقبيح، وبهذا يتحول الكاتب الواقعي إلى فنان مبدع في تصويره لواقع الحياة اليومية.

ومن سمات الواقعية الأم (الأوروبية) أنها تنطلق من جميع طبقات المجتمع وأصنافه وحتى من أدنى طبقاته، من فقيرة ومعذبة ومحرومة إلى أعلى الطبقات النبيلة والمسيطرة لتصل إلى المجتمع بكامله وبكل أعضائه، وإليه ينزل الكاتب متجولا في

[1] - ياسين الأيوبي: معالم الأدب مذاهب وانعكاسات، ص 329.
[2] - عبد الرزاق الأصفر : المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص 133.

أرجائه ليكتب من أجل فئة معينة يبغي رضاها [1]، فالواقعية تعنى بالتفاصيل الدقيقة والثانوية وحتى التافهة منها مما يتعلق بوصف الملابس والملامح والأصوات والألبسة والحركات والأشياء وتصوير الواقع كأنه حاضر، وكذلك تركز على الجوانب السلبية في المجتمع كالأخلاق الفاسدة والاستغلال والظلم والإجرام والإدمان والتسلط حتى دعيت بالمتشائمة لأنها تصف حالة المجتمع كما هي دون أن تضع الحلول أو تنادي بالتغيير.

إن الواقعيين يتميزون بالتصوير الدقيق للواقع بصورة إيجابية وموضوعية، ولهذا "قلا يتبنون تصوير الواقع تصويرا مشوها أو جامدا، رغم أنهم يتبنون إبراز النمو النموذجي، ويتبنون تضخيمه فنيا، إنهم يؤيدون التصوير الموضعي ولكنهم لا يؤيدون الموضوعيةالزائفة الصور الموضوعية الزائفة ، لا تأخذ بعين الاعتبار اللحظة الذاتية" [2]، فالتصوير الصادق ليس أكثر من رسم الشخصية المتطورة في المجتمع وفي الرواية، دون أن يؤثر في ذلك سلوك رومنطيقي، بل الحياة الجارية بانعطافاتها ومصائر أصحابها الذين يحصدون ما قدمت أيديهم وغالبا ما ينتهي البطل الواقعي إلى مصير س يئ نتيجة انحرافه عن جادة السبيل.

ومن السمات الدقيقة التي تورث اللبس والغموض للدارس والمتذوق عناق الواقعية والرومنطيقية في بعض الأعمال الأدبية الخالصة الانتماء إلى المذهب الواقعي، لا فرق في ذلك بين عمل عربي أم أجنبي، لأن الواقعية ولدت من رحم الرومنطيقية واغتدت بوشائج محبوكة من أسمى المشاعر وأقوى يقظات الضمير [3]وهذا ما يطابق قول "حسين مروة" في كتابه دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي إذ يقول:" الأدب الواقعي في جوهره عملية عقلانية وجدانية تتحرك بقدر من الخيال، وتنفذ إلى أعماق الحقيقة الموضوعية برؤية لا يمكن أن تبلغ هذه الأعماق إلا ولها من الشاعرية أجنحة مشتقة وأنه لولا هذه الشاعرية وهذا الخيال لامتنع عليها أن تنشئ عملا فنيا يتحمل ولو شحنة من

[1] - ينظر: المرجع السابق: ص 39.
[2] - ياسين الأيوبي: الواقعية في رواية أنا كرنينا، ص 21
[3] - المرجع نفسه، ص 21.

جمالية الفن ."[1]فالواقعية مدرسة موضوعية يتخللها جانب وجداني لا تستغني عنه، فهي تبحث عن الحقيقة الموضوعية في قالب فني، إذ أنها تعنى بنوازع الحياة بمختلف حركاتها وجمالها،وتصفها كما هي بخيرها وشرها دون أن تسعى للتغيير، وهذا ما ينطبق على الواقعية الانتقادية في كونها موضوعية تبتعد عن الذاتية بتصور الواقع بحقيقة تامة.

يمتاز الأديب في الواقعية الانتقادية بالحيادية وذلك أنه" لا يخاطب القارئ مباشرة بل من وراء حجاب يثير المشكلة وينسحب تاركا الحكم للقارئ بعيدا عن الخطابة والوعظ وأسلوب المحاضرة والتربية"[2]، أي أن الأدب الواقعي قائم على سرد أحداث الواقع لغرض تقوية شخصية القارئ وتحميله مسؤولية مجتمعه من تلقاء ذاته دون أن يفرض عليه الكاتب الواقعي موقف معين.

لقد فضل الواقعيون في كتاباتهم النثر على الشعر لأنه اللغة الطبيعية للناس، أما الشعر فبالرومنسية أشبه ولها أنسب، فاختاروا جنس الرواية والمسرحية، ونالت الرواية النصيب الأوفى من أدبهم لأنها تتيح مجالا واسعا ومرنا للوصف والإفاضة والتحليل، وتستوعب ازمانا طويلة وتغطي أمكنة كثيرة وتتضمن شخصيات غير محدودة، وأتت المسرحية في المقام الثاني ثم جاء الشعر في وقت متأخر مع المد الاشتراكيوهذا لا يعني أن النثر الواقعي مجرد من عنصر الشعرية المستحبة ولا سيما في تصوير العواطف والتصوير الخيالي الفني[3]، فعندما نقول الرواية المسرحية نعني كل مقوماتها الفنية بمختلف أشكالها من حوار وقص وسرد وحبكة وعقدة، إن لغة النثر أقرب إلى عامة الناس لأن الأديب الواقعي كثيرا ما يستعمل تغييرات شائعة في المجتمع وأمثال شعبية قريبة إلى الواقع، أما الشعر فلغته لا يفهمها الكل لأن فيه ميزة الخيال والرمز الذي يدعو الكاتب إلى توظيف الصور البيانية كالاستعارات و التشبيهات والكنايات ... حتى يبعده عن حقيقة الواقع.

[1]- حسين مروة ، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ، مكتبة المعارف ، بيروت، (د-ط)، 1965 ص 101.

[2] - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب ، ص 140.

[3] -ياسين الأيوبي: الواقعية في رواية أناكرنينا، ص20

فالواقعيون لا يقتصرون على نقل الواقع، بل إن أصالتهم في الاختبار من هذا الواقع لغاية اجتماعية وإنسانية. "ويصرح بلزاك (Balzac) عميد الواقعية الأوروبية في مجموعة قصصه "الملهاة الإنسانية" سنة 1843 أن له من وراء التصوير غاية خلفية هي إيقاظ روح الفرد والتعالي بخلق المجتمع"[1] كما أنه يناقض نفسه بقوله :" أتدري كيف يشق الناس سبيلهم في هذه الدنيا؟ يشقونه ببريق العبقرية أو بالمهارة في الخشبة، يجب أن تسقط بين صفوف البشر كقنبلة أو تتسلل بينهم كوباء، أما الشرف فلا فائدة فيه" [2]، وبقوله هذا كأنه يريد أن يقول أن الإنسان حيوان في جوهره تسيره غرائزه وحاجاته العضوية.

"ومن خصائص الواقعية أنها تقوم في جوهرها على فهم النوازع الإنسانية وحقائق المجتمع والالتفات إلى الصلات المعقدة المتشابكة بين تلك الحقائق والتعبير عن كل ذلك بطريقة ليس فيها عاطفة الرومانسية المسرفة ولا قوالب الكلاسيكية الجامدة ومنطقها التقليدي"[3].

لقد كان ظهور الواقعية تعبيرا عن روح العصر في جميع الميادين وذلك من خلال تناولها لقضايا الإنسان بكافة طموحاته وانتصاراته وآماله وصراعاته وكل ما يعانيه من المشاكل والمآسي.

2) خصائص الواقعية الطبيعية:

للواقعية الطبيعية سماتها الخاصة نجملها فيما يلي:

الإخلاص الكامل للعلم الطبيعي والفلسفة المادية والوضعية، وتصور العالم من الوجهة العقلانية المادية فقط والنأي التام عن الغيبية والمثالية حتى أضحى المذهب الطبيعي هو الدين الجديد، وحل رجل العلم والتكنولوجيا مكان القس، ولم تكتف الطبيعية

[1] - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 278.
[2] - فواز الشعار: الأدب العربي، الموسوعة الثقافية العامة، دار الجيل، بيروت،ط1 1999ص 82.
[3] - شايف عكاشة، نظرية الأدب في النقد الواقعي العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون، الجزائر،ص 83.

بذلك، بل اخذت تهاجم الكنيسة والمنطلقات الدينية وتسخر منها، لا سيما فيما يخص الجنس والمكافأة الأخروية للفقراء[1].

فأصحاب المذهب الطبيعي يرون أن الدين معوق للتقدم، ويضيف "زولا""Zola" إلى هذا النهج المعطيات الفرويدية في التحليل النفسي كقعدة أديب التي تمثلت في عشق الولد أمه وعقدة الكترا وتتمثل في عشق البنت أباها واعتبر الجنس هو المحرك الأساسي للسلوك.

ومن خصائص المذهب الطبيعي ان طواء الفنون والعلوم في خدمة الانسان مادة أوجسدا، وروحا أو فكرا، وسلوكا لإبداع أقصى ما يمكن إبداعه في ميادين الخير والجمال من أجل أنبل مطامح الفرد والجماعة كليهما، "أي من أجل أن يستمتع الانسان بفرح الوجود الأنبل والأكمل، أي من أجل أن يستمتع الإنسان يمتع الرخاء الروحي والمادي الحقيقيين الخالصين من شوائب القلق والخوف والضياع"[2]، فالواقعية تجعل الفن والعلم في خدمة حياة الإنسان المادية والروحية وكأنها طاقات حيوية تساعده على الإبداع وتفتح له مجال الخير والجمال في الحياة، فالإبداع لا يعني وصف مظاهر الحياة اليومية بخيرها وشرها فقطفحين يصور المبدع مثلا هزيمة يصفها ويتخذ من وصفه وسيلة لإصلاح الحياة الإنسانية والأديب لا ينظر إلى المجتمع نظرة كلية متماسكة ووحدة عضوية أي كالجسد الواحد يتضامن أعضاؤه جميعا في مسؤوليتهم إصلاحا وفسادا.

إن الواقعية لا تدعوا إلى سلوك خاص في الحياة ولا تبشر بشيء، وإنما تنصب على فهم واقع الحياة وتفسيره، وقد عبر زولا في طريقته الأدبية "أدرس الناس كأنهم عناصر بسيطة و ألاحظ ردود فعلهم ، يهم ني أن أكون طبيعيا صرفا أكثر من أي شيء آخر وفيزيولوجيا صرفا أيضا، وبدلا من أن أحمل مبادئ (كالملكية والكاثوليكية) سيكون

1 - عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب ،ص 143.
2 - حسين مروة: دراسات نقدية في ضوء النهج الواقعي، ص 66

لدي قوانين للوراثة، ويرضيني أن أكون عالما لأتحدث عما هو موجودفيما أبحث عن الأسباب الكامنة"[1].

وبهذا القول يطبق زولا مبدأه العلمي الطبيعي في دراسة واقع الكائن البشري، ويربطه بقانون الوراثة، ويعتبر كل ما في النفس الإنسانية قابل للتحليل وأن أفكار الإنسان وأحاسيسه نتاج الجانب العضوي والمادي فيه.

3) خصائص الواقعية الاشتراكية:

من سمات الواقعية الاشتراكية "أن يختار الكاتب مادة تجاريه من مشكلات العصر وشخصياتهم الأدبية مأخوذة إما من الطبقة الوسطى (البرجوازية) في آفاتها التي تهدد المجتمع بالانحلال، وإما من العمال في ما يعانون من حيف وما ينشدون من إنصاف، فالواقعيون يهاجمون الطبقة الوسطى التي كان يدافع عنها أسلافهم من الرومانتيكيين ذلك أن تلك الطبقة كانت تتعرض للظلم في العصر الرومانتيكي فساعد أدب الرومانتيكيين على صعودها إلى الارستقراطية الطاغية آنذاك، ولكنها بعد أن تولت الحكم ظهرت فيها آفات كانت مجال تصوير الواقعيين ليدقوا ناقوس الخطر لتلك الطبقة، ويجددوا القيم الإنسانية بما يلاءم الوضع الاجتماعي الجديد"[2].

فالأديب أو الكاتب الواقعي هو مرآة مجتمعه لأنه يعالج في موضوعاته قضايا واقعه الراهن ومحاولة حل مشاكل مجتمعه والرفع من مستواه وذلك بدفاعه عن الطبقة الفقيرة المحرومة، وهكذا فالمجتمع يكون الأفراد طبقا للوسط الذي يعملون فيه وطبقا لأنماط المجتمع المتنوعة. "إن الواقعية الاشتراكية هي الاتجاه الذي يتوخى الخير ويسعى إليه من جراء تسليط الأضواء عليه وتغليبه على وجوه الشر والفساد المحدقة بالإنسان في

1 - ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ، ص 320.
2 - محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ،ص 310 - 311.

سلوكه وأعماله وأقواله "[1].فالواقعية الاشتراكية أمام مجتمع يناضل من أجل تحقيق الخير والمساواة والتغيير نحو الأفضل.

إن الأدب الاشتراكي أدب هادئ ومريح يتحكم فيه الأديب ويمسك بزمام الأحداث ويقود مسارها بإحكام، فهو أدب يطالب بالحرية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، أي هو أدب تفاؤلي، يقول شكري عيّاد: "وعلى الرغم من أن الواقية الاشتراكية هي الماركسية اللينينية مطبقة في مجال الأدب ، وأن النقاد الماركسيين كانوا بارزين الساحة منذ أواسط الخمسينات، فإن أحدا لم يكن يتكلم عن الواقعية الاشتراكية، بل عن الواقعية فحسب، بل وحتى اصطلاح "الواقعية الجديدة" الذي اقترحه حسين مروة لم يكن شائع الاستعمال، وكانت سماتها بارزة في النظرة الأخلاقية وتتفق مع نظرية الأخلاق الكلاسيكية، فالواقعية الاشتراكية تصور الجانب الخير في الإنسان على عكس الواقعية البرجوازية التي تصور جانب الشر، والواقعية الاشتراكية تستحق اسم الواقعية، لأن الواقع في الأدب لا يلزم أن يقتصر على ما هو كائن، بل يصح أن يشمل ما يمكن أن يكون"[2].

ترى الواقعية الاشتراكية أن على العمل الأدبي أن يهتم بتصوير الصراع الطبقي بين طبقة العمال والفلاحين والطبقة الرأسمالية والبرجوازيين وانتصار طبقة العمال التي تحمل في طياتها الخير والإبداع على طبقة البرجوازيين التي هي مصدر الشرور في الحياة، ومن الواضح أن الواقعية الاشتراكية ترفض أي تصورات غيبية.

ومن سمات الواقعية الاشتراكية كذلك الدعوة إلى تصوير البطولة النابعة من صميم الشعب أو الشخصيات الإيجابية المتفائلة التي تعبر عن الجانب المشرق في الإنسان والتخلص من بقايا الرومانسية المريضة الذابلة التي تمثل الانسحاب من الحياة بالعجز عن مواجهة الواقع، وقد يطلق على اصطلاح الاشتراكية بالتفاؤلية[3].

1 - ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أنا كرنينا، ص18.
[2] - محمد زغلول سلام :النقد الأدبي المعاصر- ج 1 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية (د.ط) (د.ت) ص 57.
[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص 57.

يتضح مما سبق ذكره أن الواقعية الاشتراكية تولي أهمية كبيرة لرسم وإبراز ما يسمى "النموذج البطولي" في إطار التلاحم النضالي مع الجماهير والتضحية، فهي ترى أن القومية جسر إلى العالمية، وترفض الاعتداء والتسلط والحروب والهروب من مواجهة حقيقة الحياة مثل الرومانسية التي تنسحب إلى الخيال وتختفي في الطبيعة، فالبطولة في الواقعية الاشتراكية هي الشخصية الممثلة للمجتمع الواحد وتمتاز بالعدل والمساواة والتفاؤل والنضال من أجل تحقيق مطالب الغير (أي المجتمع).

ومن سمات الأدب الواقعي الاشتراكي بعامة التصوير الحياتي المادي الأمين لدقائق الحياة اليومية للأفراد والجماعات في اختلاف تحركها وتنازعها،لأن ذلك كله هوا لواقع بعينه الذي تتصل به النفوس، وهذا لا يعني التصوير الفوتوغرافي، بل الغوص إلى أعماق جوهر الحياة "والإحساس الشامل بالواقع والتعميم الفني له على أساس فهمه تاريخيا واجتماعيا، ومن أجل ذلك يعالج الفنان المضمون الحياتي المتناول على ضوء مثله الأعلى الذي يعني مادة الواقع كما هي عليه بعد مرورها عبر فانتازيا الشاعر وإضاءتها بشعاع المعنى العام"[1]، فقد دعى أصحاب هذا الم ذهب إلى تأليف القصة والمسرحية على حسب الملحوظات الدقيقة لما يحيط بالكاتب من مظاهر طبيعية وإنسانية في حياته اليومية، فإذا عالج الواقعيون موضوعات تاريخية في قصصهم ومسرحياتهم وقاموا بإحياء دقيق للعصر بعاداته وملابسه وأزياءه، ولهذا دعى "مإياكوفوسكي (Maïakovski) شاعر الثورة الروسية إلى الواقعية الاشتراكية التي تتفق مع الواقعية الأوروبية في أكثر النواحي ولكنها تختلف عنها في ناحية وحيدة" [2]، ذلك أن الأديب الواقعي ينطلق من وسطه الاجتماعي وبيئته الطبيعية، وما يهمه هو الأمور الواقعة التي يعيشها الناس ويعانونها، قصد معالجة قضاياهم من خلال كتابته للقصة أو المسرحية بأسلوب أدبي بعيد عن التكلف، والأدب طليعة مجتمعه بما أوتى من وعي ومؤهلات فكرية وفنية تمكنه من التأثير في الأفكار والقناعات، وله رسالة جوهرية هادفة مع المجتمع لبناء مستقبل أفضل.

1 - ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أنا كرنينا، ص18.
2 - سامي هاشم: المدارس والأنواع الأدبية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د-ط)، 1979، ص 83.

ومن السمات الأدبية الأخرى، الاهتمام بالجانب الاجتماعي للواقع الراهن بتناول عينات من عادات الأبطال والشخصيات، وتقاليدهم وأحاديثهم في مناسبات كثيرة ومتنوعة، وهناك سمة التحليل النفسي، بالمفهوم العام الذي غنى وعرف أرقى أشكاله مع الروائي المبدع الروسي " دستويفسكي (Dostoïevski) وبخاصة في روايته "الفقراء" و "الجريمة والعقاب" حيث بلغ أبعاد نافذة في النفس جعلت علماء التحليل النفسي الغربي يرفضون الكثير من نظرياتهم وتأويلاتهم في هذا الجانب[1].

ولتحقيق هاتين السمتين الاجتماعية والتحليلية النفسية، لابد من تعميق ثقافة الكاتب وتحصيل معارفه وتجاربه العامة حول الإنسان والمجتمع من خلال الوقائع والقوانين الداخلية لكليهما، ومن خلال المظاهر التاريخية الملموسة قال "غوركي " (Gorki): "على الكاتب أن يعرف كل شيء، التيار العام للحياة وكل القنوات الصغيرة التابعة له، كل تناقضات الواقع، دراماته وكوميدياته، رفيعة ، وضيعة،زيفه وحقيقته" [2]، فالواقعية الاشتراكية تهتم بوضع المجتمع وتصور الشر والفساد إلا أنها تفتح نوافذ للتخلص منه، فهي لا تحاول فهم العالم فحسب، وإنما إعادة بناءه ثانية وعلى الأديب الاشتراكي أن يمثل نواة مجتمعه.

ومن خاصية الواقعية الاشتراكية أنها تدرس المجتمع من أجل بنائه، وهي على يقين من أن الطبيعة والمجتمع يرضخان للنظرية القائلة بأن التطور يكمن في صراع التناقضات الداخلية "فالكاتب العظيم الاشتراكي هو الذي يستلهم الفكر الثوري الاشتراكي على حد قول أرنست فيشر (Ernest Ficher)ولكنه يتحرر من صلابة العقيدة ونظمها الصارمة، بأشكاله التعبيرية التي تحقق له المضمون الثوري، والنزعة الفنية الجمالية في آن واحد وإلا يصبح أدبه واجهة سياسية لا أدب فيها ولا جمال" [3]، ويقول كذلك:" إن الفنان أو الكاتب الاشتراكي، يتبنى وجهة النظر التاريخية للطبقة العاملة، ولكن ليس معنى ذلك أنه ملزم بالدفاع في إنتاجه عن أي عمل أو قرار يتخذه أي حزب أو شخصية تمثل هذه

1 - ينظر: ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أنا كرنينا،ص19.
2 - المرجع السابق، ص 19.
3 - ياسين الأيوبي، مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ،ص330.

الطبقات العاملة"[1]، فالكاتب الاشتراكي أو الأديب الثوري هو مرآة عاكسة لمجتمعه إذ أنه يكتب لأجله ويناضل ويطالب بتغيير الأفضل وذلك لبناء مستقبل زاهر، إذ أن الواقعيين يصورون الشر في الواقع رغبة في تغيير هذا الواقع أو الثورة عليه، وهم يشبهون من هذا الجانب الرومانتيكيين الذين يهربون من الواقع في عالم أحلامهم ضيقا بالواقع، ويشبهون كذلك دعاة الفن للفن الذين يفتنون في تصوير ما يروعهم قصدا إلى غاية تجاوز الواقع في صورة من الصور.

ومن سمات الأدب الواقعي الاشتراكي لدى الكتاب الواقعيين الأوائل توصلهم إلى جعل أدبهم يختلف عن سائر الآداب، بقدرته على تمثيل الحياة الإنسانية لكل من الفرد والمجتمع، ودراسة علاقتهما وتناقضاتهما، وقد أدت هذه الخاصية إلى إقدام أدبائها على الأخذ بمضامين كل الفنون والآداب، بغية الوصول إلى تمثيل الطبيعة الإنسانية لتكون ملعبا للعواطف الطليقة. "و كلما أمعن الواقعي في فحص الواقع والبحث في الروابط بين الأحداث التي يصفها في أثره، ازداد الواقع الذي يعيد إنتاجه حيوية وإقناعا لأنه لم يفهمه عاطفيا بل شرحه وعممه أيضا وهو ما جسده ليو ن تولستوي (lyonttolstoy)في كثير من أعماله الروائية وخطبه ومقالاته، حيث رأى في "لينين"(Lénine)مرآة للثورة الروسية لأنه استطاع أن يعكس بالفعل بعض الجوانب الجوهرية للثورة"[2].

فالواقعيون يعملون على تمييز أدبهم عن سائر الآداب وذلك برسم صورة نموذجية لواقع الإنسان في حياته اليومية بجميع ملامحها.

ومن سمات الأدب الواقعي كذلك رسم الشخصية النموذجية الشهيرة المثلى لم ا تصور وتقص وتعالج في أعمالها كشخصية "مادام بوفاري "(madame Bovary) و"فلوبير"(Flaubert) و"أنا كارنينا" (ana Carina)" لتولستوي" و "سارة" لعباس محمود العقاد و"زينب" لحسين هيكل و"الصبي الأعرج" لتوفيق يوسف عواد و"فارس أغا" لمارون

1 - المرجع نفسه، ص 330.

2 - ميجان الرويلي والدكتور سعد البازغي: دليل النقد الأدبي، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط4، 2005، ص 318 ، 319.

عبود[1] ... ، إلا أن هذه الشخصيات لقيت من القبول أكثر مما لقيه مبدعوها وكتابها وما ذلك إلا للعناية الفنية الموفقة التي عمل على تحقيقها الكتاب المبدعون، وكان تفوق هذه الشخصيات راجع لعدة أسباب وذلك باحتواء هذه الشخصية لمعظم السمات الرئيسية للبيئة أو المحيط الذي تنتمي إليه، وهنا تكمن عبقرية الأديب.

جعل الواقعيون الأدب وسيلة من وسائل البناء وأن يسموا بثمراته إلى الحياة المثلى، تتهيأ فيها للناس أسباب الحرية والسعة والقوة فيكافح ما يعوق التقدم، ويعمق قيما جديدة عصرية، وهم حين يتحدثون عن الواقع الذاتي والاجتماعي للنفس الإنسانية لا يكتفون بتصوير سلبيات الواقع وانتقادها، وإنما يعملون على التغيير مستوحين المثل المؤمنة بالإنسان وإرادته[2]. إذن الواقعيون يعتبرون الأدب وسيلة لا غاية، لهذا لم يعتنوا بأسلوبهم وقد أعا روا اهتماما بالغا بالمنطق والطريقة التي تعبر عن الأحداث تعبيرا واضحا.

ومن سمات الواقعيين كذلك تميزهم بحسن اختيار الشخصية وتحديد موقعها وطبيعتها وانتمائها الاجتماعي والفكري بحيث لا يبدو عليها طابع التجميع والترقيع بل الالتحام العضوي والنسج الطبيعي الذي تقرره الحياة، كما يفرزه البحر بعض مخلوقاته وعناصره العجيبة لكنها من صلبه ورحمه لا يشك أحد في ذلك ويتعذر على الآداب غير الواقعية أن تهتدي إلى مثل هذه الشخصية أو التمكن من خلقها وتصويرها فيما عدا بعض النماذج المسرحية التي أوجدها "موليير"(molaire) في هزلياته الكلاسيكية ، التي نشرت ومهدت لظهور الواقعية في الأدب الفرنسي الحديث [3]، والكاتب الواقعي يختار الفرد المناسب أو الشخصية المثالية كنموذج يمثل به المجتمع، وللمجتمع عدة نماذج، فمنها الرأسمالي والبرجوازي والفلاح والعامل والتاجر... ، لكل واحدة لها ما يمثلها حسب عمل الأديب الواقعي.

1 - ياسين الأيوبي، واقعية الأدب في رواية أنا كونينا،ص19.
2 - ينظر: نسيب نشاوى، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر المعاصر، ص332.
3 - ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أنا كونينا، ص20.

المبحث الثالث: أثر الواقعية في الرواية الجزائرية.

لا يمكن الحديث عن نشأة الرواية الجزائرية وتطورها بم عزل عن الوضع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري، إذ يعد هذا النوع من الأجناس الأدبية فن نثري في غاية الأهمية، ففي معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم جاء فيه أن الرواية:"سرد قصصي نثري بصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صاحبها من تحرر الفرد من التبعيات الشخصية" [1] وكأن الرواية أكثر الأجناس الأدبية التي تصف الحياة الإنسانية وصفا شاملا بمختلف مقوماتها بحاضرها وماضيها، فهي أوفر الأنواع النثرية العربية حظا في تجسيد المذهب الواقعي، إذ تعد الرواية "ملحمة العصر الحديث وأكثر الأجناس الأدبية التصاقا بالتراث وأوثقها صلة به في العصر الحاضر ولذلك فقد استعان كتاب الرواية الجزائرية بالتراث العربي الإسلامي في بداية عصر النهضة الحديثة واتخذوه ملجأ يأوون إليه في أوقات الشدة من أجل صد هجمات الغزو الأجنبي الذي حاول بشراسة أن يزيل كل معالم تاريخ الشخصية الجزائرية وماضيها، وكل ماله علاقة بآثار الآباء والأجداد"[2].

إن ظهور الاتجاه الواقعي في الأدب الجزائري عامة ، والرواية الجزائرية على وجه الخصوص يعود إلى أسباب سياسية واجتماعية قاهرة عرفها المجتمع الجزائري "فظروف الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى قد ساعدت على ظهور المذهب الواقعي الذي وجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافتهم مجالا للتعبير عن واقع البلاد بما فيه من متناقضات وعزلة وحرمان "[3]، فللواقعية لم تسد ثغر ما يحمله الشعب من نظرات التشاؤم و الحقد ، بل ساعدت الأدباء و الروائيين على الوصف المادي الدقيق للحياة

[1] – مفقودة صالح:نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل، مجلة الخبر، أبحاث في اللغة والأدب، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، ص 263.

[2] – سعيد سلام: التناص التراثي، الرواية الجزائرية نموذجا، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن،ط1 2010، ص 318.

[3] –أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص 56.

الاجتماعية التي يحياها ملايين من السكان، لما فيها من إمكانيات التصوير الصادق لتلك الحياة القاسية.

فقد عمل الاستعمار الفرنسي على نهب خيرات الجزائر واستثمار اقتصادها وتحويل أموالها على حساب فرنسا واستخدام سياسته القمعية وأساليبه التدميرية جعل من الجزائريين روحا تناضل بالسلاح والقلم وهذا ما أثر بالإيجاب على التطور التاريخي للأدب الجزائري وجعل الكتابات الجزائرية تنمو في الساحة الثقافية، وسواء كانت هذه الكتابات باللغة العربية أو بالفرنسية، إذ أن "الرواية العربية الجزائرية لم تأت من فراغ فهي ذات تقاليد فنية وفكرية في حضارتها، كما أنها ذات صلة تأثريه ما بهذا الفن الذي عرفته أوروبا في العصر الحديث، خصوصا بعد شيوع مصطلح الواقعية منذ أن أعلنه "بلزاك" (Balzac) في مقدمته لمجموعته الضخمة الملهاة الإنسانية أو الكوميديا البشرية "La Comédie Humaine".[1]

وأهم ما يميز الرواية الجزائرية هو ارتباطها بالواقع المع يشي للإنسان، فهي موضوعه الراهن في تناول قضاياه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتعنى بدراسة واقع مجتمع الإنسانية ويتجلى ذلك في خيوطها الروائية بسرد وقائع الإنسان من خلال تجسيد حياته اليومية في بيئته ومكانته الاجتماعية، وكل ما يحل به من حزن أو فرح أو بؤس أو رخاء، إذ أن الرواية تعنى بوصف كل ملامح الإنسان وحتى مشاعره وأحاسيسه وعواطفه ولا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرتها في سلسلة أحداثها.

وواقع الجزائر في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى كانت تسوده الكثير من المعاناة و الاضطرابات والتشاؤم والحرمان ، وقد كثر فيه من دواعي الحرية والوطنية والديمقراطية والرخاء في نفس الوقت الذي كان فيه الشعب يعاني من الشقاء المزمن والقيود، وقد سادت الواقعية لما فيها من وصف مادي وتعبير صريح، لا لما تحمله من تشاؤم ونظرات سوداء وما تزرعه من بذور الحقد والطبقية كما ير اها البعض وأهم جانب يلتفت إليه الأديب الواقعي وهو الجانب الاجتماعي، فهو بذلك يولي عناية خاصة

[1] – ينظر: عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تاريخيا وأنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص 196.

بالصراع الطبقي، كما يولي عناية بتحديد الأزمات الاجتماعية وبيان أسبابها وآثارها، وهذا ظاهر في كتابات الأدباء الجزائريين الواقعيين من خلال القضايا التي تناولوها.[1]

يمكن القول إن الحركة الأدبية في الجزائر قد ارتبطت بالتحولات السياسية وبالأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع ، والأدب الواقعي مرآة عاكسة لوضعية مجتمعه، والكتابة الروائية هي نفسها المعبرة عن هذه الحركة الأدبية، يقول "أندريه مارلو" (Malraux Andrei) في بعض حديثه إلى مجلة: " يبدأ الأديب بمحاكاة الأدب ثم ينتهي إلى محاكاة الحياة"[2] معنى هذا أن الأديب يعكس في أدبه ما يراه حوله و ما تردد في نفسه، فيبدأ بمحاكاة الأدب لينتهي إلى تصوير رؤية لواقع الحياة.

وعلى الرغم من أن الحركة الأدبية في الجزائر عموما، والكتابة الروائية خصوصا قد نشأت متأخرة بالقياس إلى الحركة الأدبية في البلدان العربية، إلا أن الروائيين ذوي التعبير العربي لم يكتفوا بما تلقوه في المنظومة التربوية مم ا لا يمكن أن يؤهلهم إلى مواكبة المستجدات في الساحة الأدبية والنقدية نظرا لتخلف البرامج التعليمية وطرائق التدريس وضعف التأطير، وإنما اجتهدوا في الاحتكاك بما هو خارج المدرسة النظامية عن طريق الكتب والمجلات والعلاقات الشخصية وغيرها من وسائل الاتصال المتاحة[3]، حيث سعى الكتاب الجزائري ين إلى التجديد ومحاولة منهم لمسايرة الواقع بأفكارهم وتعبيراتهم، وهذا ما جسدته الرواية الجزائرية لأنها هي التي "ساعدت على مسايرة الواقع ونقلت مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث التغير، ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية، خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي وهذا ما نجده في عقد السبعينيات، ودخلت الرواية فيه بعد مرحلة جديدة فيها ثورة ونضال وانهزام، إذا انطلق

1 –ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري، ص 57 ، 58.
2 – محي الدين صبحي: دراسات ضد الواقعية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 ،1980، ص 11.
3 – ينظر: مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية –بحث في الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات دار الأديب، ط1 ، (د–ت)، ص 26.

الكاتب من الواقع الذي عاشه وعايشه"[1]. فظهور حركة الواقعية في الرواية الجزائرية هو نتيجة ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية وثقافية مر بها الشعب الجزائري، وبالتالي فحرب التحرير هي المعلم الأساسي البارز في تاريخ الأدب الجزائري، إذ "أصبحت الحرب تشكل تراثا ي سرتق إليه الأدباء ويستوحون منه كتاباتهم، لكن الصور ة الغالبة هي تلكم الصورة التي لا تعدو أن تكون صدى للخطاب السياسي الرسمي، إذ يستحضر الكاتب الحرب بوصفها صراعا بين الكتلة الوطنية من الجزائريين والكتلة الاستعمارية للفرنسيين".[2]

ويرتبط ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بثلاث محطات:

1) – ثورة الفلاحين (1871 – 1916): ترتبط هذه الثورة بظهور أول بذرة قصصية في الأدب الجزائري وهي حكاية العشاق في الحب والاشتياق "لمحمد مصطفى بن براهيم" الذي صادر المستعمر أملاكه و أملاك أسرته، ولعل ظهور هذه الرواية انعكاس لنتائج الحملة الفرنسية على الجزائر.

2) – أما المحطة الثانية فتتمثل في أحداث 8 ماي 1945 والتي تعتبر نقطة تحول على كل المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية.

3) – أما المحطة الثالثة فتتمثل في انتفاضات 01 نوفمبر 1954 التي انصهرت فيها كل الأحزاب وتغير أسلوب الحياة والتعامل مع الآخرين، وفي هذه الفترة ظهرت أعمال روائية ممثلة في:"الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي سنة 1951 ورواية:"الحريق" لنور الدين بوجدرة عام 1957م[3].

إن ميلاد الرواية الواقعية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية كانت على يد الروائي "أحمد رضا حوحو" في روايته " غادة أم القرى" التي كانت أول مولود تبشر به الرواية الجزائرية، وهي أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر، إذ قال عنها لعرج

[1] – ينظر: شادية بن يحي، الزراية الجزائرية ومتغيرات الواقع، السبت 04 مايو 2013، ص02، www.diwanalarab.com

[2] – مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية –بحث في الرواية المكتوبة بالعربية،ص65.

[3] – مفقودة صالح: نشأة الرواية العربية في الجزائر، التأسيس والتأصيل، مرجع سابق، ص 16 من26.

واسيني:" إنها ظهرت كتعبير عن تبلور الوعي الجماعي بالرغم من آفاقها المحدودة" [1]، إلا أن ظهور هذه الرواية يعود إلى الأربعينات من القرن العشرين .إذ يقول أحمد منور في مقدمةالطبعة الثانية من قصة غادة أم القرى "ونعتقد أنه – أحمد رضا حوحو – كتب غادة أم القرى في بداية الأربعينات، وربما قبل ذلك بالاستناد إلى المقدمة التي كتبها السيد أحمد بوشناق المدني والمؤرخ في 1362/12/21هـ وهو ما يقابل حسب تقديرنا 20 يناير 1943 م"[2]، ويعقب هؤلاء الروائيين حقبة السبعينات التي شهدت نتاجا مكثفا في الرواية الجزائرية إلى تجسيد للواقع بكل ما يحمله من تناقضات طبيعية في حدود وعي اجتماعي معين.

فظهر الكثير من الكتاب الروائيين الجزائريين منهم "عبد الحميد بن هدوقة" في روايته "ريح الجنوب" التي نحتت نحوا واقعيا عالجت من خلاله قضية الثورة الزراعية حقيقة ونتائجا، يقول عثمان بدري: " إن واقعية عبد الحميد بن هدوقة شأن واقعية نجيب محفوظ ... ليست واقعية بلزاكية ... كما أنها ليست واقعية إيديولوجية ذات خطاب واحد آمر كما بدا ذلك في بعض الأعمال الروائية المتحمسة للفكر الاجتماعي والاقتصادي الماركسي وإنما هي واقعية إنسانية غ ي ممذهبة" [3]. ثم خطت الرواية خطوة فنية نحو التطور عند الطاهر وطار" في رواية "اللاز" و"الزلزال" يعرض فيها جانب من الواقعية الاشتراكية.

لقد استطاع الطاهر وطار ضمن منطق ظروف تاريخية، الخاص منها والعام أن يضيف الكثير إلى الساحة الأدبية الفقيرة في الجزائر وأن يبدع ويطور هذا الاتجاه نحو أكثر الأشكال تأثير ا على الجماهير التي يكتب من أجلها، "فالطاهر وطار عندما يكتب يرسم واقعا محددا ويرسم في الآن نفسه حدود وعي التاريخ الذي يتحرك في حقل معين من الصراع والنضال، وهو بهذا يشير من خلال وعيه الروائي إلى حدود وعيه العام، فالكاتب لا ينتج الواقع روائيا انطلاقا من وعي مستقل متعال اسمه "الوعي الروائي"، فقد

1 – الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر– بحث في الأصول التاريخية، ص 18.
2 – أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط 2، 1988 ، ص 02.
3 – عثمان بدري، قمم ونماذج من الأدب العربي الحديث، دراسات تطبيقية، دار قالة، الجزائر،2001 ص 63.

تابع "الطاهر وطار" الوعد الذي قطعه على نفسه بضرورة تتبع الرحلة النضالية للجزائر عبر كافة حقب تطورها التاريخي بدءا من الثورة الوطنية "اللاز" إلى الثورة الديمقراطية الوطنية في "العشق والموت في الزمن الحراشي."[1]

فظهور رواية "اللاز" للطاهر وطار كان في عقد السبعينات يمثل التغييرات التي شهدتها الجزائر آنذاك، وهو بمثابة معلم أثري للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وإنجاز فني ضخم طرح بكل واقعية قضية الثورة الوطنية.

وبالرغم من أن الطاهر وطار يوهم في مقدمة "اللاز " بأن عمله لا يمت بصلة إلى التاريخ إلا أنه في الواقع يسبح في عمق التاريخ ويعبر عن موقف واضح من تاريخ الجزائر يقول: "إنني لست مؤرخا ولا يعني أبد ا أنني أقدمت على عمل يمت بصلة كبيرة إلى التاريخ، رغم أن بعض الأحداث المروية وقعت أو وقع ما يشبهها... إنني قاص، وقفت في زاوية معينة لألقي نظرة – بوسيلتي الخاصة – على حقبة من حقب ثورتنا"[2].

فالروائي الطاهر وطار يعنقد في روايته" اللاز" إلى عر ض الوقائع في تسلسلها التاريخي كغيره من الروائيين.

وفي روايات السبعينات طرح موضوع الصدام الحضاري، فكان "مرزاق بقطاش" من أكثر الروائيين وعيا لواقع الصدام الحضاري في روايته "طيور في الظهيرة" عندما جعل التلاميذ ينقطعون عن حصص اللغة الفرنسية ويحضرون فقط حصص اللغة العربية كما نلاحظ ميل الكثير من الروائيين الجزائريين إلى الاتجاه الإيديولوجي الماركسي، فهذا الطاهر وطار في روايته " اللاز " حاول أن يصبغ الثورة التحريرية بصيغة إيديولوجية وكذلك "حسان جيلالي" في روايته "لقاء في الريف " سنة 1980 فقد كان متعصبا للثورة الزراعية ، ومثله عبد الحميد بن هدوقة في روايته "ريح الجنوب" سنة 1970[3] ، والتي تعد إنجاز فني يندرج ضمن قائمة النتاج الجزائري الفكري، فكل هذه الأعمال الروائية هي نتاج لثقافة أصحابها حيث ظروفهم الخاصة هي التي تمهد لهم الطريق إلى الفن.

1 – ينظر: عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث –تاريخيا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ص 196.
2 – الطاهر وطار: اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 02، ص 08.
3 – جاب الله أحمد: الحداثوية وأثرها في الرواية العربية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، العدد 2، 2002، ص 18.

ومن ثمة فإن" إنتاج الواقعية الاشتراكية في كتابات الأدباء والنقاد الجزائريين دليل على بلورة وعيهم بتناقضات واقعهم الاجتماعي ورغبتهم الصادقة في الخروج بالحركة الأدبية والنقدية من واقعها المتخلف والاتجاه بها نحو الواقعية للمساهمة في بث الوعي وتحقيق ما تصبوا إليه الطبقة الصاعدة"[1].

إن الاتجاه الواقعي الذي يميز الكتابات الإبداعية والنقدية قبل الاستعمار ناتج عن رد فعل اتجاه الأحداث التي عرفتها الجزائر في تلك الحقبة، حيث بدأت الرؤية الواقعية تتطور بعد الوعي السياسي والثقافي خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945 وآثارها في الثقافة الوطنية ويدعم هذا الاتجاه أكثر بقيام ثورة أول نوفمبر 1945 التي تكشف عن حقيقة الاستعمار، ونجد من بين الفنون الأدبية التي ساعدت على ظهور الواقعية في الأدب العربي هي الرواية الجزائرية، حيث أنها عبرت عن الحركة الوطنية بكاملها، فقد جذبت الرواية الجزائرية إليها عددا كبيرا من الكتاب وأصبحت تحظى بمكانة بين سائر الأجناس الأدبية.

ومن أبرز النقاد الذين استطاعوا أن يضعوا أسس الواقعية النقدية في كتاباتهم خلال فترة السبعينات، نذكر منهم محمد مصايف "المؤامرة"، وعبد المالك مرتاض في روايته "نار ونور"، ومحمد ساري، مخلوف عامر، محمد الأمين الزاوي، محمد بوشحيط ادريس بودية أزواج عمر، واسيني لعرج، إذ يتحدث "محمد مصايف" في "المؤامرة" عن "عمر" الذي استشهد أبوه فخلفه في مواصلة الكفاح لأن الاستمرارية الثورية في التغيير الأدبي لدى محمد مصايف تعد بمثابة جوهرة تركها الأب وصية، ولا بد للابن من أن يحافظ على الجوهرة الوصية[2].

وتعتبر فترة السبعينات مرحلة الجد في العمل الروائي الفني من حيث مضامينه وأبعاده، فالحديث عن البداية الفنية للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية هو الحديث عن روايتي "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة سنة 1970 ورواية "اللاز" للطاهر وطار سنة

[1] – عمار زعموش: النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضايا واتجاهاته، مطبوعات جامعية ،منتوري، قسنطينة 2001،ص 135.

[2] – مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية، – بحث في الرواية المكتوبة بالعربية،ص66.

1972م، إذ يقول واسيني لعرج عن الرواية أنها "نتاج الثورة الوطنية وإرهاصاتها" [1]، كذلك يقول أن الرواية "هي انعكاس التحولات الديمقراطية" [2] وتخلص إلى أن كل هذه الروايات كان يغلب عليها طابع الثورة الوطنية، ونذكر أيضا أهم الكتابات التي رسمت معالم الواقعية النقدية فهي كالآتي: "رواية الحريق" لنور الدين بوجدرة، رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، رواية " طيور في الظهيرة" لمرزاق بقطاش ، رواية "الطموح" لعرعار محمد العالي رواية "قبل الزلال" لبوجادي علاوة.

أما الحديث عن الرواية الجزائرية في فترة الثمانينات فقد شهدت ظهور عدد كبير من الروايات الجزائرية ذات القيمة العادية فكريا و جماليا وهذا بسبب وعي أصحابها وامتلاكهم فكر وثقافة واسعة، فهم يدركون التحولات التي شهدها المجتمع الجزائري سياسيا وثقافيا واجتماعيا والصراعات والتناقضات التي حلت بالجزائريين فترة الاستقلال.

كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة التحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل هذا الجيل اتجاه تجديديا حديثا في هذا النمط الأدبي الجزائري، ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر روايات واسيني لعرج مثل "وقع الأحذية الخشنة" سنة 1981 و"أوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983م ورواية "نوار اللوز" أو تقريبة صالح بن عامر "الزوفري" سنة 1982، التي يستثمر فيها التنا ص مع تقريبة بن هلال وكتاب "المقريري" "إغاثة الأمة لكشف الغمة"[3].

كما أخرج واسيني لعرج نمطا روائيا آخر في هذه الفترة تحت عنوان "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" سنة 1983م الذي يهدر فيها دم الشيوعي "لخضر" وهو من الشخصيات السياسية الأساسية في هذه الرواية، كان شيوعيا، نقد الحكم بذبحه ذلك المجاهد البسيط "عيسى" وهذه الرواية مثلت النظرة النقدية للتاريخ الرسمي الجزائري.

---

[1]– يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسوية إلى النسبية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،(د–ط) 2002 ص 39

[2] – المرجع نفسه، ص 39.

[3]– ينظر: شادية بن يحي: الرواية الجزائر ومتغيرات الواقع، السبت 4 مايو 2013، ص03 www.diwanalarab .com

كما كتب الحبيب السائح روايته "زمن التمرد" سنة 1985، ومن الأعمال الروائية في هذه الفترة أيضا أعمال "جيلالي خلاص في روايته "رائحة الكلب" سنة 1985 وروايته "حمام الشفق" سنة 1988 كما كتب أيضا مرزاق بقطاش روايته "البزاق" سنة 1982م و "عزوز الكابران" سنة 1989م كما أحرج رشيد بوجدرةعذة أعمال روائية نذكر منها رواية "التفكك" سنة 1982 و "المرث" سنة 1984 و"ليليات امرأة أرق" سنة 1985و "معركة الزقاق" سنة 1986.

كما يتابع الطاهر وطار في هذه الفترة كتابة جزئه الثاني من رواية اللاز وهي "تجربة العشق والموت في زمن الحراشي" سنة 1980 الذي يرسم فيه مآل الثورة بعد الاستقلال عبر الاصطفاف بين الحركة الطلابية وممن يتوسلون الدين ليجهضوا الثورة الزراعية ويجهضوا على التحول الاشتراكي[1].

فكل هذه الكتابات الروائية هي تعبير عن منظورات ورؤى أصحابها في مسايرة وسلك منابع التجديد في عقد الثمانينات وتحقيق الحداثة في الكتابة الروائية، فالظهور المكثف للرواية الجزائرية في هذه الفترة له مبرراته وتفسيراته، فكانت نصوص الروائيين تحوم حول موضوع الثورة وتمجيدها وتحقيق مبدأ الحرية والاستقلال.

لقد شهدت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية حظا كبيرا في الساحة الثقافية العربية قابلتها الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية والتي أشارت إلى ظهور الواقعية في الأدب الجزائري، إلا أن الظهور الحقيقي للأدب الجزائري بدأ في فترة الخمسينات وبالضبط سنة 1950 حين نشر "مولود فرعون" روايته الأولى "ابن الفقير" file du pauvre، "جسدت هذه الرواية معاناة الجيل الأول في التكيف مع الأوضاع الغربية الجديدة إلى جانب ضياع حقوقهم نتيجة جهلهم للغة الفرنسية" [2] وهذه الرواية هي أقرب ما تكون إلى السيرة الذاتية للكاتب، يحكي من خلالها معاناة الأهالي في منطقة القبائل، وكما يظهر من عنوان ، الرواية فموضوع الرواية هو الفقر الذي كان يتخبط فيه الجزائريون

[1]- المرجع السابق، ص4-5

[2]- اسماعيل جماجم: الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونيةالمغاربية،دار الأمل للطباعة والنشروالتوزيع (د-ط)، (د-ت) ، ص71.

وظهرت بعد ذلك في سنة 1952 روايتان مهمتان، الأولى للروائي "مولود معمري" عنوانها "الهضبة المنسية"la colline oubliée والثانية لمحمد ديب عنوانها "الدار الكبيرة " la grandemaison وتتابع بعد ذلك صدور أعمال روائية لكتاب آخرين أمثال: كاتب ياسين، مالك حداد، آسيا جبار ... "إن جدارة كاتب ياسين تتمثل في كونه أدرك على أن الكاتب الثوري الذي اختار النضال بالقلم أن يكون ثوريا بذلك في مجاله الخاص، مجال الكتابة، وتعتبر روايته الرائعة "نجمة" مثالا دالا على هذا الموقف"[1].

وبذلك كانت فترة الخمسينات منعرجا حقيقيا في مسار الرواية المكتوبة بالفرنسية، إذ طوعت نوعية الكتابات الروائية في معالجة الموضوعات بأفصح التعبير عن الواقع المعيشي للمجتمع الجزائري، حيث كان الجزائريون يحاربون الاستعمار بشتى الوسائل وحتى بأقلامهم فكانوا يوجهون صوتا مقروءا للشعب الفرنسي خاصة وللعالم عامة، ونجد أيضا الروائي رشيد بوجدرة الذي نشر أول رواية عام 1969 بعنوان "التطليق" la répudiation.

ورغم ذلك فالرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي ستظل تمارس حضورها الإيجابي في التوعية الجماهيرية ودورها الحضاري والتاريخي، ولكن مجالاتها التعبيرية نقصت وحلت محلها الرواية العربية، وإن كانت هذه الأخيرة عاجزة بشكل عام عن الوصول إلى الذروة الفنية والعالمية التي وصلت إليها الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على يد "محمد ديب" "فرعون" "ياسين" "مالك حداد" "رشيد بوجدرة" و"هنري علاق" وغيرهم، لكن آفاق التطور مفتوحة للرواية العربية الجزائرية بشكل أوسع سواء على صعيد الواقع الاجتماعي الذي وفر إمكانيات تعبيرية تقديمية هائلة أو على صعيد التفتح على الثقافات الإنسانية وعلى الإنجازات الثقافية في الغرب وفي الوطن العربي، وهذه الخصوصية الإيجابية والمتميزة تضاءلت بالنسبة للرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على ما كانت عليه فترة الخمسينات[2].

[1] - الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، ص 365

[2] – المرجع السابق، ص501.

لقد اتسمت كتابات هؤلاء الروائيين بالنزوع نحو الواقع وتجسيد ملامح حياة الجزائريين في أحقاب الاستعمار، فقد تجلى وصف حياتهم اليومية ومشاكلهم أثناء الاستعمار في تعبيراتهم، وهنا تتضح معالم الواقعية في الأدب الجزائري، وسبب اللجوء إلى الكتابة باللغة الفرنسية راجع للاستعمار الفرنسي الذي كان يحاول القضاء على اللغة العربية وتعليم اللغة الفرنسية ومعظم الكتاب والروائيين الذين كتبوا باللغة الفرنسية عايشوا الاستعمار.

وفي الأخير نستنتج أن الرواية الجزائرية بلغت ذروتها من الكتابة سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية وجلبت العديد من الكتاب والروائيين، إلا أن حرب التحرير تركت بصمتها في سائر الروايات آنذاك، لكن توظيف الحرب في الرواية كان يختلف من كاتب لآخر، كما ظهرت سمة وأثر الواقعية في جل الأعمال الروائية، مثلا توظيف الواقعية الاشتراكية عند الطاهر وطار في روايتيه "الزلزال" و"اللاز" وكذلك الواقعية الانتقادية عند "محمد ديب" في ثلاثيته حتى سمي بلزاك الجزائر.

المبحث الأول: دوافع تأليف الرواية و مضمونها

1) دوافع تأليف رواية اللاز:

وقبل أن نشرع في تحليل رواية اللاز للطاهر وطار لابدّ أن نذكر أسباب تأليفها، فهي من أشهر الروايات التي كتبها الطاهر وطار إذ صرح في مقدمة روايته طبعة 1974قائلا: "بدأت التفكير فيها في شهر سبتمبر، وشرعت في كتابتها في شهر ماي 1965 بعد تراكم الخلافات والمشاكل داخل صفوف جبهة التحرير الوطني ...لا من استقرار للوضع لابدّ من أن تصفي الأمور... وطيلة السماوات السبع(65-72) التي استغرقتها كتابة هذه القصة المتقطعة من شهر إلى آخر كان يطغى عليّ شعور بالذنب، إن بلادي تسير إلى الأمام بخطى عملاقة وأنا مشدود إلى هذه القصة أتفرج عن الماضي، ولا أساهم في المعركة الحاضرة" [1]، فرواية اللاز تعتبر من أهم الروايات الجزائرية، وفيها وصف الطاهر وطار أحداث الثورة وحالة المناضلين فهي "تكتب على أسى ثورة الفقراء، عن مسافة أصيانة بين حلم الثورة، وإمكانية الثورة، لأنّها تكتب أولا عن مأساة المثقف الحالم"[2] فهي عبارة عن سرد أحداث متتالية للثورة وهي صورة لواقع المجتمع الجزائري أيام الاحتلال.

إن المتطلع لهذه المقدمة يبدو له أن أحداث الرواية غير متصلة مع بعضها البعض، وما إن يشرع في قراءتها يجد أحداثها متسلسلة منسجمة في قالب فني متكامل، فتفكير "الطاهر وطار" في كتابة هذه الرواية كان في سنة 1958 وهي الفترة التي أعقبت ثورة التحرير، وما إن شرع في كتابتها كان بعد الاستقلال سنة 1965، لكنه عالج فيها مواضيع تخص الثورة، والرواية في حدّ ذاتها تتناول أحداث الماضي إلاّ أنّها تنير الحاضر وتساهم في إزهار المستقبل، كما أنّها تدلّ على إخلاص الكاتب وأصالته ووطنيته.

---

[1] عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث- تاريخا وأنواعا، وقضايا وأعلاما، ص245.

[2] عبد الله الخطيب : النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، دار الفضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص68.

وتعتبر رواية "اللاز" جزءا من التاريخ الجزائري وهذا ما تتضمنه، غير أنّ عنوانها أليف ليس كغيره من عناوين الروايات الأخرى. فكلمة "اللاز" "تعني باللّاتينية "الآس" والمقصود به هو رمز للشعب إلى الواحد المفرد الذي لا تتغير قيمته إلّا نادرا حتى الحجر والورق"[1]. وقد ورد معنى كلمة "اللاز" في الرواية، إذ يقول الكاتب على لسان الضابط الفرنسي "آه أيّها اللاز، اللاز حتى اسمك لا يحمل معنى محدود... في القديم كان يطلق على الجزء الأدنى من العملة النقدية، والآن يطلق على العدد المفرد في أوراق اللعب، وبينما هو الحجر يمثل أدنى رقم، الرقم الأول في العدد، مجاور للبياض، يمثل في "البيلوط" الرقم الأعلى... الوحيد في البيلوط الذي يحتفظ بقيمته مهما تغير اللون المنتخب"[2]. فاختيار "الطاهر وطار" كلمة "اللاز" اللّفظة الشعبية ورمز للشعب الجزائري فيقول في روايته على لسان الضابط الفرنسي "أيها القذر، إنك لا تمثل شيئا، إنّك لا تمثل غير هذا الشعب اللقيط، غير هذه القضية المفتعلة التي انفلتت من دبر التاريخ" [3]. ورواية اللاز ذاتها هي "سلسلة من الأزمات المملوءة بين مختلف الأطراف المتصارعة والمتنافرة".[4]

و"اللاز" هو الشخصية الروائية المحركة لأحداثها وهي التي رسمت بشكل واقعي معالم الثورة المسلّحة ضدّ الاستعمار الفرنسي.

2) دراسة مضمون رواية اللاز:

تبدأ رواية اللاز بمطلع يشبه التمهيد إيعازا بالنتائج، كما تختم بخاتمة يصوّر فيها الكاتب ملامح لإفرازات ثورة التحرير التي تتضمن جزء من النتائج السلبية بعد الاستقلال. و الملاحظ أن بداية الرواية هي مقدمة لخاتمتها.

---

[1] االطاهر وطار: اللاز، ص70.

[2] المرجع نفسه، ص106.

[3] المرجع نفسه، 106.

[4] إدريس بودبية :الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار ،منشورات منتوري، قسنطينة ، ط1 ص64

تنطلق الرواية من موقف الحسرة و الأسى، إذ يبدأ الكاتب في تصوير المكان الذي يتجمع فيه أبناء الشهداء و آبائهم و أراملهم و هو مكتب المنح وتجمعهم هناك يعتبر فرصة تذكرهم بشهدائهم، و فيه يعلق الشيخ الربيعي فيقول : "...إننا كما عرفنا أنفسنا منذ خلقنا الشيشان على رؤوسنا تكاد تقطر وسخا...ليس لنا من الماضي إلاّ المآسي ...و ليس لنا من الحاضر إلاّ الانتظار... وليس لنا من المستقبل إلاّ الموت..."[1] ،كما يظهر اللاز في صورة تشاؤمية يردد المثل الشعبي "ما يبقى في الوادي غير حجاره" وهذا الشعار هو كلمة السّر بين الثوار و المجاهدين في تلك القرية.

وتكرار عبارة " ما يبقى في الوادي غير حجاره " من بداية الرواية إلى نهايتها ،والتي رددها اللاز وأتباعه كانت لها دلالات،فقد اعتبرت مغزى للرواية و كلمة اتصال بين المجاهدين، كما أن هذا المثل قد عبّر عن موقف من الواقع الذي كان سائدا أيام الاستعمار، ففي مطلع الرواية كان استعمال المثل "ما يبقى في الوادي غير حجاره " يحمل دلالة سلبية تشاؤمية عبّر عنها الشيخ الربيعي، و عن الوضع الذي آلت إليه البلاد بعد أن ضحى من أجلها الشباب و الشيوخ و الأطفال و النساء...، لنعيش في رفاهية و في جوّ يسود فيه الحرية و الهدوء و الاستقرار،و معنى هذا المثل أن الحقيقة هي الصواب و الكذب لا ينفع. وفي سياق آخر وعلى لسان "حمو" مخاطبا "اللاز" "وجب أن أختفي من القرية، إنك تعرف كل شيء عن تهريب الجنود الجزائريين من الثكنة... سيأتيك الأخ المناضل المكلّف بهم... كلمة السر بينك وبين المناضل هي "ما يبقى فالوادي غير حجار" يقولها ثلاث مرات"[2] وهنا توظيف المثل فيه دلالة إيجابية ترتبط بالروح الوطنية للثورة وتعمق صلة التضامن والوفاء بين الثوار.

أما توظيف المثل الشعبي" ما يبقى في الوادي غير حجارو" في آخر الرواية يدل على صيحة "اللاز" في رعب عندما انفجرت الدماء من قفا أبيه بعد أن ذبح من طرف جماعة الشيخ الفرنسيين ولم يتوقف هنا، بل بقي يردده وكان يحمل دلالة إيجابية دلالة على استمرارية الثورة والنضال.

---

[1] الطاهر وطار : اللاز، ص 8.

[2] المرجع نفسه، ص43.

وفي المقطع الثاني من الرواية ينطلق "الطاهر وطار" في نسج خيوطها، إذ تظهر القرية التي خلفها الرومان فيصفها الكاتب بملامحها وشوارعها، كما يصف لنا مشهد "اللاز" الذي تقوده دورية " متجها نحو الثكنة، "... هذا اللاز تقوده دورية" [1]. كما يقدم لنا صورة عن النشأة الأولى "اللاز" "هذا اللقيط ... لا تتذكر حتى أمّه من هو أبوه، وكأنما التقطته من الرماد مثل الدجاج... برز إلى الحياة يحمل كل الشرور" [2]، لقد اشتط في حياته واعتدى وصارع فهو "مكابر، معاند، وقح متعنت، لا ينهزم في معركة ...نمت فيه شرور، لم تكن لتتوقع، من السطو على التاجر ليلا، إلى الخمر إلى الحشيش إلى القمار... حتى بلغ معدل دخوله إلى السجن ثلاثين مرة في الشهر" [3].

لقد لجأ الكاتب في البداية إلى تصوير الواقع الاجتماعي "اللاز" بحيث برزت عدّة مشاكل أفرزها واقعه الاجتماعي المتدهور، وذلك أنه كان يعيش مع أمّه في كوخه، وكانوا يعيشون فقر حاد، خرج إلى الحياة وهو يجهل من يكون والده.

وقد كانت ل"للاز" علاقة مع الفرنسيين، وراجت حول هذه العلاقة أقاويل "البعض يراها قائمة على القوادة، فاللاز بواسطة الشقية أمه يتصل ببعض العاهرات ويمهد لهن سبل الاتصال بالضابط" [4]، وهناك من يرى أن اللاز يعمل في مخابرات الضابط يحصي حركات الناس، ويتقصى أخبار الثورة، لكن هناك من يدافعون عنه دفاع محتشم، وخيانة اللاز الوحيدة في الرواية أن حقيقة علاقته بالعسكر الفرنسيين كانت لتهريب الجنود الجزائريين إلى الجبل، وعلاقته بالضابط هي سبب خنوثة ذلك الضابط.

فـــ"اللاز" هو رمز الثورة والنضال كما أنه يمثل صورة الجزائريين، فقد كانت أحداث الرواية متسلسلة غير أنّها تمتاز بالمعاناة والأسى والحرب في وجه المستعمر ولم يكن موت زيدان نهاية الثورة بل ترك وريثه يواصل استمرارها.

---

[1] الطاهر وطار، اللاز، ص09.

[2] المرجع نفسه، ص10.

[3] المرجع نفسه، ص10.

[4] المرجع نفسه،ص22.

وهكذا واصل "الطاهر وطار" رسم لوحاته في روايته بطريقة منسجمة وبوصف دقيق وبعدما عرّفنا على اللاز ومعاناته في المجتمع وتعذيبه من طرف الضابط الفرنسي، وقد مورست عليه شتى أنواع التعذيب ولكنّه لم يخن وطنه فكان الرجل الوفي والمناضل القوي، بقوله: "مازلت اللاز الحقيقي. لم ينته اللاز الأول بعد... يبدو أنّه لم ينته أبدا .لا.لا. لن أعترف وإن اقتضى موتي تحت التعذيب". [1] وقد تمثّل وفاؤه في ترديد هذه الكلمات:" مجاهد، مجاهد، مسبل، مناضل، فلاق، خدعتك أيّها المأبون القذر" [2]، رغم أنّ "اللاز" ذاق كلّ أصناف التعذيب التي تفوق طاقة البشر، ولكنّه قررّ عدم البوح وإفشاء السر.

وقد تتالت أحداث الرواية وكان في متنها شخصيات مختارة تتفاوت في الأدوار وقد عالجت مواضيع الثورة والاستعمار كما صوّرت الصراعات بين الأحزاب وكان "زيدان" مؤسس الحزب الشيوعي الجزائري وهو من المقاومين البارزين في الثورة الذين رفعوا السلاح في وجه المستعمر. وكان شيوعيا أسهم في تكوين عدد من المناضلين ودعّم صفوف الثورة، فهو لا يرى الثورة مجرد حمل السلاح ومواجهة العدو بل أنّها عملية تغيير للواقع الفاسد ويتجلّى في حديثه مع "اللاز": "... يجب أن نغير الحياة يا اللاز يا ابني"[3].

وقد انتخب "زيدان" مسئولا ثوريا في جيش التحري الوطني و أصبح قائدا لثلاث فرق عسكرية، و أظهر خبرة عسكرية وسياسية وتخطيطا محكما دقيقا، الأمر الذي جعل الضابط الفرنسي قلقا من الضربات الموجعة حتى قيل عنه " يقين أنّ الأحمر اللّعين هو الذي يخطط لهم... تدرّب في صفوفنا وتثقف في مدارسنا وسبقتنا إليه موسكو"[4]، وذلك عندما سافر إلى فرنسا وتعلّم الكتابة والقراءة مع السيّدة "سوزان" وهناك اكتسب فكرا جديدا، وكما يفهم من هذه الأحداث عموما، أنّ فيها إشارة إلى ظروف نشأة الحزب

[1] الطاهر وطار، اللاز، ص77.

[2] المرجع نفسه،ص63.

[3] المرجع نفسه، ص56.

[4] الطاهر وطار، اللاز، ص69.

الشيوعي الجزائري، ولمّا عاد "زيدان" بعد الحرب العالمية الثانية ليشارك في فعالية الثورة المسلّحة، وقد طلب منه أن يتخلّى عن حزبه لكنّه رفض.

والكاتب عندما يرسم مسار "زيدان" من فرنسا إلى موسكو إلى الجزائر فهو إنّما يرسم مسيرة الحزب الشيوعي الجزائري الذي أنشأ الحركة العمّالية والحزب الشيوعي في فرنسا.

فالطاهر وطار في روايته يطرح قضية الشيوعية وقضية الخلاف بينها وبين جماعات من الثوريين ويمثّل ذلك "الشيخ" الذي طلب من "زيدان" التبرّؤ من العقيدة وانسلاخه من الحزب وإعلان انضمامه إلى الجبهة، وطلب من الشيوعيين الفرنسيين والأسبان الدخول في الإسلام وإن لم يفعلوا يذبحهم، ولكنّهم رفضوا طلب "الشيخ" وبدؤوا يجادلونه ويتحاورون معه قال "زيدان": "أنا شخصيا لم ألتحق بالجبل باسم حزبي" [1] فلم يطق سماع حديثهم وقال: "أمّا الآن فعليّ أن أنفذ قرار القاهرة، إذا ما صح فهمي، فإنّكم ما تزالون تصرّون على..." [2] ، وبتشبث "زيدان" وهؤلاء الشيوعيون بالثورة، وعدم تنازلهم عن موقفهم، أدّى بالشيخ إلى اتّخاذ قراره النّهائي وهو ذبحهم جميعا. وهكذا كانت نهاية قصة "زيدان" الذبح من طرف الشيخ. لكنّه ترك ما يمثّله ووريثه الشرعي، الذي واصل مسيرة أبيه ودوره، وبقي يردّد عبارة "ما يبقى في الوادي غير حجاره" مما يدلّ على استمرارية الثورة والنضال في وجه العدو، يقول الكاتب على لسان الشيخ الربيعي "إنك الآن أفضلنا جميعا يا اللاز، لأنك لا تحس بشيء، لأنك ما تزال تعيش الثورة، بل لأنك الثورة"[3]

و هذا ما يمد بصلة إلى رمز النضال و الاستمرارية و التفاؤل و بالتالي فنهاية رواية اللاز نهاية تفاؤلية تمثلت في ذلك المثل الذي ردده اللاز بعد موت أبيه.

---

[1] المرجع نفسه، ص 178.

[2] المرجع نفسه، ص 216.

[3] المرجع نفسه، ص 221

ففي مجمل ما ارتأيناه سابقا نستخلص أن كل أحداث رواية اللاز تدور حول أيام الثورة التحريرية والظروف الاجتماعية و السياسية التي مر بها الشعب الجزائري من تعاسة ومشقة وتدمير تعذيب شنيع.

فالطاهر وطار في روايته يصور المجتمع الجزائري أيام الاستعمار ، ويرى في "اللاز" رمز للثورة و البطولة ، فاللاز هو الشاب الجزائري وهو الابن الغير الشرعي الذي أنجبته "مريانة" من ابن عمها "زيدان" وذلك لقسوة الظروف و الإقتتالات الداخلية جعل " مريانة" تهرب مع ابن عمها إلى الغابة ليعيشا فترة مختبئين وهنا تنجب الصبي اللاز وكما يدعونه أصحاب القرية اللقيط ، ابن الزنا ، القذر ، الطائش ....

كانت أحداث الرواية في قرية من القرى الجزائرية ، وسط الجبال الجميلة الهادئة ، وكان فيها ثكنة الجيش الفرنسي و ضابطها الذي يعذب الجزائريين أشد التعذيب فيبدأ بالجلد ثم الغطس في الماء والكهرباء لينتهي بعملية قلع الأظافر . كما كان يعيش في هذه القرية أناس طيبون وثوار مناضلون أمثال : التاجر " الشيخ الربيعي " و ابنه " قدور " و " الشايب السبتي " وابنته " زينة " و " قميرة " وزوجته ، و "اللاز" الابن اللقيط ، المتشرد ، المتحدي و المناضل ، العنيد أولا وأخيرا ، المتحايل والعبقري ، وأمه "مريانة " المسكينة التي كان يضربها ليأخذ منها أموالها وكان أهل القرية يدعونها بالعاهرة ، و" حمو" صديق " قدور" العامل البسيط الأمي الذي يعيش في كهف ضيق وسط الزبل والدخان كان يعمل هناك ويتقاضى مقابل عملة أربعين دورو في اليوم لكسب قوت عائلته و "زيدان" أخوه مدبّر الثورة ومصدر الأوامر ، الرجل المتعلم، المثقف، سافر ليتعلم ويعمل في الخارج ويعود بأفكار منظمة يخدم بها الثورة و الوطن، فكان قائدا ضمن قيادات المقاومة يقود بفكرة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم وينجح في كل خططه نتيجة ذكاءه ومهارته ، وزيدان المناضل الحساس، دائما يتذكر فعلته مع ابنة عمه "مريانة" ويتألم ألما شديدا لها .

كما كان يقابل هؤلاء الناس الطيبون كان يموج في القرية الخونة و الفلاقة ، يعملون كمساندين ومساعدين للجيش الفرنسي أمثال "الشامبيط" و "بعطوش" الذي ارتكب

أسوء جريمة في حق خالته "حيزية" كادت أن توصل به إلى الجنون وهي مضاجعتها بأمر من القبطان ، وقتل أم اللاز "مريانة" ، وبعد ذلك أدرك فضيحة ما فعله ، و تدارك خطأه بقتل القبطان وتفجير كل القنابل وسط الثكنة وقتل مائتين جندي فرنسي، وهرّب الدبابات والرشاشات وفرّج على المسجونين الجزائريين وانضم إلى جبهة التحرير الوطني ليصبح فعلا مناضلا جزائريا.

إن هذه الشخصيات وأخرى، كلها ساهمت في بناء وتصميم أحداث الرواية ورسم أجوائها الاجتماعية و الثورية و النضالية، فكل الشخصيات كانت من منبع الطبقة الفقيرة من الفلاحين والعمال فوضعهم الاجتماعي المأساوي ما دفع بهم للثورة و النضال من أجل الحرية وتحسين ظروف عيشهم في حياة حرة مستقرة.

فالمجاهدين والثوار الجزائريين كانوا محافظين على دينهم ووطنهم وأرضهم إلا أنّ الكاتب صور لنا شخصيات متمردة أمثال "بعطوش" و "حمو" الذي قذف بالطفل الذي أنجبه من "خوخة" في الفرن ، وعلاقته بالأخوات الثلاث "مباركة" و "خوخة" و "دايخة" تصويرا صادقا ووصفا دقيقا بارعا.

فرواية اللاز هي تجسيد للعمل الثوري النضالي في مرحلة من مراحل الثورة الجزائرية إذ تناول الطاهر وطار أحداث الثورة في حقبة زمنية معينة وصور واقع الشعب الجزائري آنذاك .

غير أن نهاية الرواية انتهت بصوت زيدان والد اللاز، حيث ذبح بطريقة قاسية على يد رفاق السلاح، و بالرغم من ذلك فقد تضمنت الرواية روح التفاؤل الذي مثلها اللاز بترديده للمثل الشعبي " ما يبقى في الوادي غير حجاره" ، وبهذا فهو يمثل استمرارية الثورة.

المبحث الثاني: البناء الفني لرواية اللاز

لدراسة شكل الرواية وتحليلها، لابد من ذكر الشخصيات والمكان والزمان، الأسلوب الفني، السرد، الحوار، اللّغة.

1) الشخصيات:

لقد تعددت شخصيات الرواية فمنها الأساسية ومنها الثانوية:

"اللاز": الشخصية المحورية التي دارت حولها كل أحداث الرواية، كما أنّها عنوان اختاره الطاهر وطار لروايته. وتعد هذه الشخصية من الشخصيات النامية في الرواية، فقد تابعت الحدث من البداية إلى النهاية.

ف"اللاز" لم يكن شيئا مذكورا فحسب، إنّما هو الرمز التاريخي والمحرّك لكل الأحداث والمواقف في الرواية. وهو ابن المناضل "زيدان" و "مريانة".

"اللاز" هو الشخصية التي تتحمل كل أعباء و هموم الشعب الجزائري وترمز له ولتاريخه[1].و يمكن أن نرسم شخصية اللاز في المخطط التالي:[2]

المخطط رقم:01

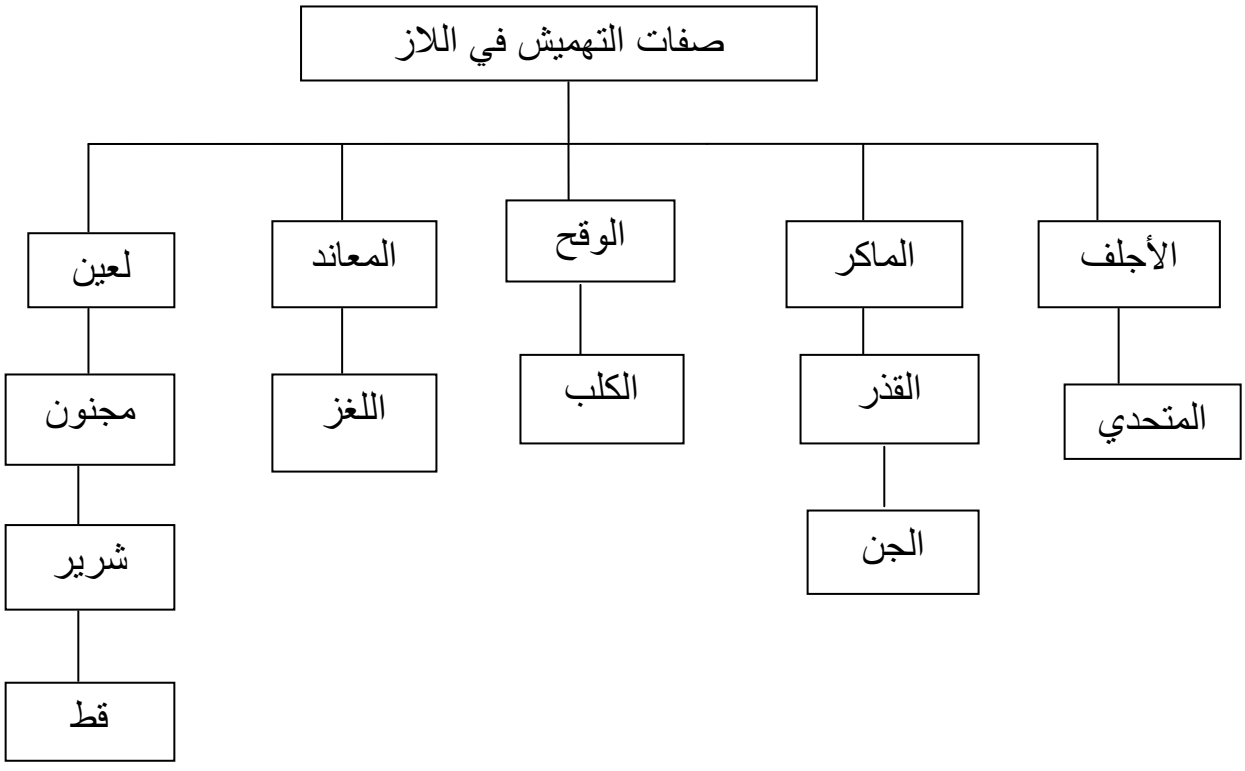

[1] الطاهر وطار: اللاز، ص106.

[2] مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، ص77.

"اللاز" هو أوّل شخصية هامة في الرواية حيث أنّها تمثل الشخصية الشعبية المنحدرة من صلب الطبقة الشعبية الفقيرة، جاء إلى هذه الحياة وروحه مسكونة بروح الطيش و العنف ولم يحظ بتقدير المجتمع لأنّه غير شرعي، ورغم هذا فهو شخصية ثابتة من الداخل لا يعرف الخيانة ولا الغدر ظلّ طوال حياته يرددّ عبارة "ما يبقى في الواد غير حجارو".كلمات قالها بعد أن سكت عن الكلام وذلك عند مشاهدة موت أبيه "زيدان" وهو يذبح أمامه.

وتعدّ شخصية اللاز شخصية متأزمة، إذ يقول محمد بشير بوجيرة:" أمّا عن الوسائل الفنية المستعملة في بناء هذه الشخصية من الداخل تتمثل في التركيز على الجوانب الشّاذة كاللّواط، والسرقة، والعنف، وهي من الجوانب التي كان لها تأثيرات، الأول في غير صالح الشخصية، حين نجدها بأعمالها تلك تثير خنقنا وغضبنا أما التأثير الثاني فيمثل دخيلة هذه الشخصية الإنسانية، التي لها من السلبيات بقدر من الإيجابيات، وبخاصة في فترة الطفولة العابثة، والمراهقة الساخطة، وهي بذلك تثير شفقتها وتحاول إقناعها بأهميتها وبوزنها الوجودي، ونعتقد أنّ هذا هو السبب الوحيد الذي جعل القراء و النقاد ينصب على شخصية "اللاز" بصفتها شخصية وجودية في حين كان الإهمال من نصيب "زيدان" الشخصية النمطية على الرغم مما بذله الروائي من ترويج لها"[1].

رغم تجمع كلّ هذه الصفات في "اللاز" إلّا أنّه يبقى الشخصية الأساسية في الرواية، وهي نواة الحدث الروائي وهي الشخصية الثورية المناضلة. ومقابل شخصية "اللاز" نعثر على شخصية "زيدان" الذي يمثل الشخصية العضوية والروح الملحمية للثورة ومحركها، إذ أنّه متشبع بالفكر الشيوعي، والملتزم بوطنية فهو "الشخصية الوحيدة التي استطاعت أن تطرح قضية الثورة الوطنية بشكل صحيح وعلمي"[2].

وزيدان هو الشخصية الأكثر حضورا في الرواية لأنّه يمثل قائد الثورة وصادر أوامرها وممثلا للحزب الشيوعي الجزائري.

---

[1] محمد بشير بوجيرة: الشخصية في الرواية الجزائرية، دار المعارف، بيروت، (د-ط)، 1983، ص119.

[2] واسيني الأعرج : تجربة الكتابة الواقعية (الرواية أنموذجا)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د-ط)، 1989، ص37.

ويمكن رسم شخصية "زيدان" في مخطط يبيّن تطورها في الرواية [1]:

المخطط رقم: 02

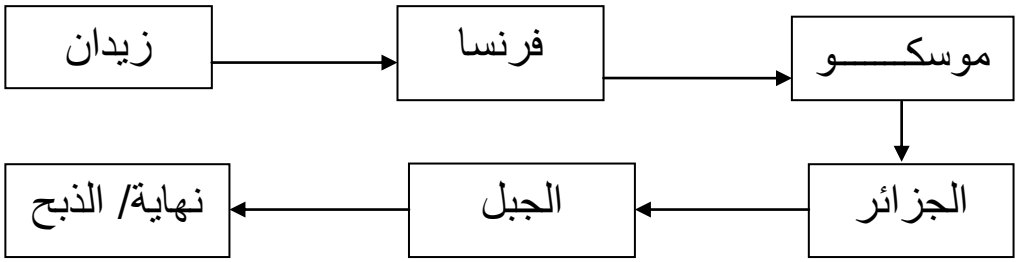

هذا المخطط يمثل حياة زيدان منذ نشأته الأولى ثم سفره إلى فرنسا و تعليمه حتى حصل على الشهادة ، ثم التحق بموسكو و دخل مدرسة القيادة الوطنية و نمت فيه فكرة الأحزاب و الروح الشيوعية، ثم عاد إلى الجزائر وانظم إلى الحزب الشيوعي و عمل في الثورة على تجنيد الجزائريين وكان عازما على عدم التنازل على موقفه في الثورة حتى استشهد على يد الشيخ و كانت نهايته الذبح.

وإلى جانب شخصية "زيدان" نلتقي بشخصية "حمو" أخوه، الذي يعمل في الفرن في ظروف شاقة، يقضي أكثر وقته في اللهو بعيدا عن العمل مع بنات "المعلم" الثلاث (دايخة،خوخة و مباركة)، ورغم فقره إلّا أنّه ظلّ وفيا لوطنه، وهو يمثل الإنسان الشعبي الفقير الذي كان يعمل عند البرجوازي صاحب الحمام بثمن بخس، وقد التحق بصفوف الثورة في الجبل مع مع المجاهدين الجزائريين، وكان يشتري الأدوية والألبسة لجيش التحرير فصار يبث الحماس في نفوس المواطنين لينضموا إلى الثورة.

وإلى جانب هذه الشخصية، هناك شخصية "بعطوش" الشخصية المتحولة من خائن إلى مناضل، كان عاملا في الإدارة الفرنسية متعاونا مع الجيش الفرنسي الاستعماري أقدم على أفضح الجرائم كمضاجعة خالته "حيزيه" وقتل أم اللازم ريانة وهذا كله لإرضاء ضابطه الفرنسي. فقد كان سجله حافلا بالخيانة، باع نفسه للاستعمار ثم انقلب حربا على الثورة فخانها وكشف أسرارها للعدو. وبعد أن استيقظ فيه ضمير الوطن أصبح مناضلا

[1] مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بـالعربية)، مرجع سابق، ص 74.

حقيقيا في صفوف جبهة التحرير الوطني، فأسهم في تهريب المساجين بعد اقتحامه الثكنة، رماها بقنبلة " ليحدث الانفجار المهول، لتتعال ألسنة النار حتى تحول الليل نهار" [1]، وبعدها نعثر على شخصية "قدور" ابن الشيخ الربيعي، صديق "حمو" وهو شاب ميسور الحال، يمارس التجارة بدكان أبيه في القرية، وكانت له طموحات وآمال وأماني يريد تحقيقها، تتمثل في تزكية تجارته وتوسيع دكانه، انضم إلى جبهة التحرير الوطني ونتيجة لتغيير كثير من المفاهيم.

وشخصية "قدور" تموقعت في النص الروائي للبرجوازية الصغيرة، ثم تحول إلى شخصية فاعلة وحركية، تعمل في صالح الثورة، انطلاقا من وعيها، وتعتبر شخصية نامية أثبتت وجودها بالاستشهاد من أجل القضية الوطنية، حيث أنه سقط شهيدا في الحدود "قيل إنه مات في طريقه بك إلى الحدود"[2].فهو النموذج الوطني الشهيد حسب رأي الكاتب.

كما نتعرف أيضا إلى شخصية الشيخ مقابل "زيدان" و"الذي باسم الدين أقدم على ذبح طموحات هذا الشعب" [3]، يحمل في تركيبته فكرا رجعيا داخل الحركة الوطنية وصاحب شخصية مفتعلة بادّعائه الثورية والوطنية، "فهو الشخصية الرديئة تاريخيا" [4]، فقد يقدم على ذبح "زيدان" وعلى مرأى من "اللاز" ابنه، ذلك نتيجة معتقداته الإيديولوجية، وهو سبب في صمت "اللاز".

كما ترصد الرواية شخصية مهمة وفاعلة في دلالتها وفي بنائها الدرامي وهي شخصية "الربيعي" والتي تظهر منذ بداية الرواية وذلك عند استسلام منحة ابنه "قدور الشهيد" وهو يسبح بذاكرته وخياله فيسترجع أحداث الماضي الأليم، بقوله: "هذا اللاز ... اللاز المسكين، قدور ابني استشهد معه ... استشهد في طريقه به إلى الحدود ... ثم أسند إلى الجدار وأطلق العنان لمخيلته تتحسس الجراح ... شيء عشناه ... وشيء سمعناه ... وشيء نتخيله"[5].

---

[1] الطاهر وطار: اللاز، ص 212.
[2] المرجع نفسه، ص 220.
[3] وسيني الأعرج: تجربة الكتابة الواقعية، مرجع سابق، ص42.
[4] وسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص495.
[5] الطاهر وطار : اللاز، ص08.

ورغم أن الشيخ "الربيعي" شخصية غير مساهمة غير مساهمة في حوارية الرواية مثل بقية الشخصيات إلّا أنّها بهذا الغياب تسجل حضورا قويا في توالد الأحداث، فالرواية تبدأ بهذه الشخصية وتنتهي بها. كون هذه الرواية هي رواية استرجاع الماضي وتذكره.

فهذه كلّ الشخصيات الفعالة في النسيج الروائي، أما الباقي فهي شخصيات ثانوية. وتجسيدها في المركبة السردية للرواية محدود، ومن بينها نذكر:

-"عريف رمضان" أو كما سمي في الرواية "الكلبران رمضان" الذي تمرد على الجيش الفرنسي والتحق بالمجاهدين في الجبال وملحن أغنية نالروس "...أتعرف الهوى نالروس، أنا مؤلف وملحن هذه الأغنية"[1].

-"سي الناصر" الفنان السفاح الذي قتل سبع أرواح في ليلة واحدة، لقد كان تاجر متجولا في الأسواق ينتقل من مكان إلى آخر عبر السكك الحديدية، وحين انضم إلى صفوف الثورة ارتقى إلى رتبة قائد.

-"احمزي" صاحب الإسطبل الذي يأوي المناضلين إليه عندما يجيء دورهم للالتحاق بالمجاهدين في الجبال.

-القبطان أبو الضابط الفرنسي صاحب الثكنة ومسؤول فرنسي صاحب القرارات و الأوامر في الثورة أي هو مسيّر الجيش الفرنسي.

وكذلك الشخصيات الأخرى مثل :زينة، مريانة أم "اللاز"، حيزية، الشامبيط، الملازم ستيفن، سي مسعود، الشايب السبتي، س ي فريجي صاحب البغلة الشهيرة التي حملت على ظهرها العديد من المجاهدين دون أن يكشفها العدو...، فكلّ هذه الشخصيات وغيرها ساهمت في تجسيد المشروع الروائي. فهي تنمو مع الأحداث التاريخية "لتحل مواقع جديدة على الدوام فهي شخصيات نامية ومتحركة تصل إلى مرحلة النمذجة الفنية في كثير منها"[2]. فهذه الشخصيات تعد من المعالم الكبرى المشكلة لفنية الرواية.

---

[1] المرجع نفسه، ص 156.

[2] عبد الله رضوان : البنى السردية، (2) دار اليازوري، عمان، ط1،2003 ، ص 112.

المكان:

اعتمد الطاهر وطار في روايته على وصف المكان وصفا دقيقا، حيث أن أحداث الرواية انطلقت من القرية وساحاتها، "القرية كما خلّفها الرومان، تتألّم الجبال، في كآبة ماتزال ... والمارة والتجار الواقفون أمام دكاكينهم ... ملأت عربات الجيش الطريق الرئيسي..."[1]. فقد كان تحديد المكان بارزا من بداية الرواية ووصفه الطاهر وطار وصفا صادقا، دون تنميق أو زيادة.

كما أنّه وظف أماكن أخرى كثكنة الجيش الفرنسي وما فيها من قاعة التعذيب ومكتب الضابط، كما أنّه صور لنا الملعب الذي جمع فيه بعطوش سكان القرية، وكذلك صور لنا مسكن الربيعي الذي "يتكون من جوش مفروش بالاسمنت ومن ثلاث حجرات متجاذبة، مستقلة الأبواب... أما المطبخ فإنّه في اليسار أمام بيت المؤونة" [2]. فكل هذه الأماكن وغيرها جسدت أحداث الرواية كما أن اختيار المكان في الرواية كان له موقفه ودلالته، فالمكان الجغرافي في رواية "اللاز" الذي يرمز للثورة والجهاد هو "الجبل" فاللاز يرى أن الجبل هو المكان المناسب للمعارك بقوله "أتمنى أن تخوض معركة في هذا الجبل"[3]، والجبل في ذاته يمثل المكان الذي يختبئ فيه المجاهدين فهو "يمثل ملجأ المجاهدين ودرعهم الواقي وهو قمة التضحية في سبيل الوطن، ولكنّه أيضا قمة التناقضات الحاصلة بين الثوار، وهو قمة الغربلة أيضا بين من يرقى إلى هذه القمة ليرقى إلى أعلى العليين، يرسخ قناعاته الوطنية، ويعمق وعيه بمصير الوطن، وبين من ينحدر من هذه القمة إلى أسفل السافلين، فيتردّى في ممارسات التصفيات الجسدية ضدّ كل من يعارضونه"[4].

---

[1] الطاهر وطار : اللاز، ص 09.
[2] المرجع نفسه، ص109.
[3] المرجع نفسه، ص 157.
[4] مخلوف عامر : توظيف التراث في الرواية الجزائرية(بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، ص 79.

لقد كان اختيار المكان في الرواية منسجما مع أحداثها وشخصياتها مثلا:(القرية، الثكنة،الجبل) تعد أماكن مفتوحة في الرواية يستطيع القارئ رسم لوحات الرواية في ذهنه.

الزمان:

إن تحديد الزمان في الرواية يختلف باختلاف أحداثها حيث يعد الفضاء المفتوح الذي يسمح بحركة الشخصيات، وهو الذي يتحكم في تسلسل الأحداث وترابطها ترابطا منطقيا فالكاتب يحدد مسار الشخصيات حيث يرى، "ألان روب غريتي" "إنّ الزمن هو الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة" [1]، أي أنّه يمثل رمز من رموز الرواية التي تؤدي إلى الفهم الدقيق، ويكون بمثابة النقطة التي يستنطق بها الكاتب الشخصيات و الأحداث، والزمن في الرواية يتغير بتغيير الأحداث في الرواية.

والزمن في رواية اللاز متغير بين الماضي والحاضر والمستقبل وذلك في قول الربيعي: "... ليس لنا من الماضي إلّا المآسي... وليس لنا من الحاضر إلّا الانتظار... وليسلنا من المستقبل إلّا الموت..." [2]. وقد يندمج في الرواية زمن الماضي بالحاضر وذلك من خلال استرجاع "زيدان" السنوات التي قضاها خارج الوطن، وما كان ذلك إلا لخدمة أفكاره الإيديولوجية التي انتسبها في تلك السنوات من الأماكن التي استوطن فيها حتى عاد إلى الجزائر.

والزمن في رواية "اللاز" محدد، ذلك أنّها تروى عن أحداث الثورة الجزائرية،غير أن كتابة الرواية كان في فترة امتدت من سنة 1965 إلى سنة 1972، لكن كل أحداثها حول فترة الثورة الجزائرية وانتخابات 1947، كما أن الطاهر وطار استعمل الزمن بمصطلحات كثيرة و متنوعة منها: الساعات، الليل، الفجر، النهار، الأيام،الشهور...و هذا ما يدل على تعدد الأزمنة في الرواية حسب أحاثها.

[1] حسين بحراوي : بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1،1990 ص 112.
[2] الطاهر وطار :اللاز، ص 08.

الســـرد:

نقل لنا الكاتب أحداث الرواية متسلسلة حسب الزمان و المكان التي جرت فيه، حيث صور لنا الثورة الوطنية في مشهد يمثل بشاعة المستعمر و ممارسته الشنيعة في حق الجزائريين، و سرد لنا الأحداث ووصفها بدقة قريبة إلى الحقيقة كما سلّط الأضواء على حياة الأبطال وخلفياتها فيبدأ بنشأته و ذلك بالعودة إلى الماضي و استرجاع الذكريات، يقول الكاتب على لسان زيدان "هذه خمسة و عشرين سنة، كنا في الدوار، كان عرشنا كبيرا، كنا نسكن أرضا خصبة غناء، قتل في دوارنا قايد، لا أذكر بالضبط سبب موته، هل كان سياسيا أم لا..... تشردنا هنا و هناك، كان عمري ثماني عشر سنة، و كانت أمك مريم، مسكينة ابنة عمي تكبرني بعدة سنوات... أنت يا اللاز... أنت يا اللاز، أمك مريم إبنة عمي"[1]و بهذا القول يسرد لنا حقيقة نشأة اللاز.

كما أن الروائي اعتمد في مجمل روايته على السرد و الوصف الدقيق الصادق، كوصفه لقاعة التعذيب ووصفه لغرفة الضابط"هي كبيرة، في جانب منها خزانة حديدية، سرير عريض، و بعض مقاعد، وفي جانب آخر،مكتب خشبي صغير،عليه مذياع وعدة كتب ومجلات، وأريكة مستطيلة، و مائدة عليها عدّة قوارير و كؤوس"[2].

فالسرد هو المنطلق الأساسي في الرواية، وهي *الخاصية* الفنية التي تمتاز بها الروايـــــــــة.

الحـــوار:

يعتبر الحوار عنصرا من عناصر البناء الفني في الرواية و هو الأداة و الوسيلة التي تتواصل بها الشخصيات فيما بينها، فقد شغل حيزا كبير في الرواية، حيث كان يطول تارة و يقصر تارة أخرى حسب الظروف و المناسبات، ومن خلاله تتطور الشخصيات و تنمو نموا إيجابيا، بل نراها تنتقل من نقيض إلى آخر.

[1] المرجع السابق، ص 54.
[2] المرجع نفسه، ص 207.

و بالحوار يبعد الروائي الملل على القارئ، فقد استعمل الطاهر وطار الحوار بنوعيه الداخلي (المونولوج) و كثيرا ما مثله اللاز وخاصة وهو في قاعة التعذيب مع الضابط،يقول اللاز في نفسه "لو أتمكن من معرفة أخبار قدور،هل غادر القرية أم ما يزال؟ قد ينتظر الغدّ اعتمادا على أنني لن أعترف بسرعة...ولربما لن أعترف بالمرة.كان المفروض أن لا أعترف...الأوامر تمنع الاعتراف، والثورة تحكم بالخيانة على المعترف..."[1] .ومقابل هذا الحوار نجد كذلك الحوار الداخلي الذي كان بين "زيدان" و"اللاز" ابنه، كما نجده مع "قدور" و أمه وكذلك مع "قدور" و صديقه "حمو" و هو موجود في الرواية بكثرة ونمثل له بحوار أجراه بعطوش مع المسبلين في الثكنة عندما قام بقتل القبطان و تدمير الثكنة ،و أراد أن يهرب الدبابات فقال لهم:

-" كيف يتسنى حمل كلّ هذه الأسلحة ؟

- لماذا لا نهرب في إحداهن؟

- قال آخر، وهو يشير إلى الدبابات، وضحك زملاؤه، و علّق أحدهم:

- نهرب بها أفضل يا مغفل.

- إذ ذاك برز أحد الفدائيين، و باغتهم: هيا أسرعوا، حييتم يا أبطال"[2]

و بفضل الحوار استطاع الكاتب أن يبرز أفكار و آراء الأشخاص المتحاورين في الثورة، و كان استعماله بكثرة ليزيد الرواية وضوحا في المعنى و دقة في الأسلوب و ليرسم معالمها الفنية بدقة.

اللّغـــــــــــــــــــــــــــــــــــــة :

أما فيما يتعلق باللغة الموظّفة في الرواية، فقد اعتنى بها المؤلف عناية كبيرة، فلم يلجأ إلى الجمل المعقدة و لا العبارات الملتوية، فكانت كلماته سهلة و بسيطة و عباراته

[1] الطاهر وطار: اللاز،ص 69.
[2] المرجع نفسه، ص 214.

جذابة مشرقة تزيد المعنى وضوحا و الشكل جمالا .و تنقل الأحاسيس بإتقان دون تكلف أو افتعال، و كانت لغته تتغلغل إلى قلب القارئ في سهولة و يسردون عناء، كما استطاع المؤلف أن يضفي جوّا شاعريا على الرواية، فكانت لغة السرد عذبة و صافية و تراكيب الجمل مركزة و ألفاظه منتقاة و مختارة و كلماته قصيرة و موحية سواء في الوصف أو في الحوار.

فاللغة في رواية اللاز تمتاز بسلامة الألفاظ و سهولتها و عذوبة المعنى و جودة التعبير، كما أن توظيف الأمثال الشعبية في الرواية موجود بكثرة مثل:(ما يبقى في الوادي غير حجاره) الذي استعمله الكاتب كرمز لكلمة السر في الثورة،و كذلك استعمل الكاتب عبارات سهلة قريبة إلى العامية مثل قوله "خوك شوت المحن قلبه" [1] و بها عبّر عن واقع الجزائريين و معاناتهم المادية و النفسية و العاطفية.

نلاحظ أن توظيف الأمثال بكثرة قد أسهم في توضيح اللغة و سهولتها، فاللغة تتضح بفنية المثل أكثر فأكثر إلى جانبه الإيقاعي و الموسيقي و الفواصل المسجوعة، و التقابل اللفظي المتوفر في قول الكاتب " اسأل المجرب لا تسأل الطبيب " [2].كما أن الأمثال قد تباينت من حيث الإيجاز و الطول و حققت المتعة الروحية و الجمالية في سرد وقائع الرواية، دون إغفال جانبها الدلالي الموحي المتمثل في تصوير الواقع الاجتماعي و السياسي للشعب الجزائري أثناء الثورة و بعدها.

كما أن الرواية لا تخلو من التراكيب العامية من مثل قول الكاتب في هذه الجملة: " ورأس ابن عمي، فات الحال، إما...الشامي شامي.و البغدادي بغدادي،الذبح من جهة و الرصاص من جهة " [3].و قد وظف الكاتب أيضا ألفاظا عامية لكن بنسبة قليلة، مثل(الفلاقة، الشيشان، قلب الأم هو خبيرها، و ر أس ابن عمي ...)، وكذلك نجده قد استلهم ألفاظا من القرآن الكريم مثل لفظة (الكهف) و وصفه من الداخل و(غار حراء)، بقوله " و لسبب ما، وجد زيدان نفسه يفكر في النبي محمد، و شعر نحوه بعطف كبير و

[1] الطاهر وطار: اللاز، ص 26.
[2] المرجع نفسه، ص 28.
[3] : المرجع نفسه، ص 39.

هو يتصوره، متسللا في البهمة إلى غار حراء ، ثم إلى الغار الموحش و العرق يتصبب من كامل بدنه "[1] و ما هذا إلا تصوير للواقع الاجتماعي، فكل هذه الأمثال و هذه الألفاظ الفصيحة منها و العامية إلا لتسهيل اللغة و سرد أحداث الرواية بواقعية.

و عموما فإن اللغة الموظفة في رواية اللاز تكشف عن المستوى الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي لكل شخصية من شخصيات الرواية، و قد كان الطاهر وطار وفيا للألوان المحلية، فقد كان يأخذ من العامية تراكيبها ومن الفصحى معجمها المشترك المتداول في جميع الأقطار العربية، و لكنه أحيانا يلجأ لاستعمال بعض المفردات ذات البعد المحلي مثل: الشامبيط، فلاق الدوار...، أما المستوى النحوي فهو بسيط سهل في نظمه الجمل القصيرة المتعاطفة، أو طويلة تميل إلى التراكيب.

وفي الأخير نستخلص أن لغة الرواية لغة سليمة فصيحة، فقد أكثر الكاتب من العبارات الشعبية مثل تكرار عبارة (ما يبقى في الوادي غير حجاره) الدالة على الحياة الواقعية، كما أنه استعمل ألفاظا تتعلق بالثورة و تشير للواقع و قد أكثر من الحقول الدلالية ،مثل:

النضال:الكفاح، الثورة، الحرب، المعركة، المقاومة، التعذيب، العدو، الضحية، الموت، الشهيد...

الشيوعية: الحزب، الإيديولوجية،العقيدة، القضية، السياسة، الانتخابات، الترشح، الدين..

الاشتراكية: التغيير، النضال، الجماعة، القطاع، المسؤولية، الجماهير، الشعبية، مسؤول المالية، الاشتراكية...

[1] المرجع السابق، ص 89.

الفصل الثـــــــــــاني:

دراســـــــــة تطبيقية للواقعية في رواية اللاز للطـــــــــاهر وطـــــــــار

- المبحث الأول: دوافع تأليف الرواية و مضمونهـــــــــــــا.

- المبحث الثاني: البنـــــــــــاء الفني لروايـــــــــــــة اللاز.

- المبحث الثالث: تجليات الواقعية الاشتراكية في رواية اللاز.

ملحـــــــــــــــــــــــــــــق

نبذة عن حياة الطاهر وطار:

الطاهر وطار أديب و كاتب جزائري معروف ، يعد من الروائيين الجزائريين الذين كتبوا أعمالهم باللغة العربية ، من مواليد 15 أوت 1936 بقرية مداوريش بسوق هراس ،يقول الطاهر وطار أنه:"ورث عن جده الكرم و الأنفة، وورث عن أبيه الزهد والقناعة و التواضع ، وورث عن أمه الطموح و الحساسية المرهفة ، وعن خاله الغنى" [1] ،تنقل الطاهر وطار مع أبيه بحكم وظيفته البسيطة في عدّة مناطق حتى استقر به المقام بقرية مداوريش التي لم تكن تبعد عن مسقط رأسه بأكثر من 20 كلم ،فتعلم القرآن الكريم ثم التحق بمدرسة جمعية العلماء التي فتحت عام 1950 فكان ضمن تلاميذها النجباء.

أرسله أبوه إلى قسنطينة ليتفقه في معهد عبد الحميد بن باديس عام 1952 ، ليتابع دراسته في ذلك المعهد ،"أما دراسته العليا فكانت في جامع الزيتونة بتونس ،وهناك انتبه إلى أن هناك ثقافة أخرى غير الفقه و الشريعة ، هي الأدب " [2]،فالتهم في أقل من سنة ما وصله من كتب "جبران خليل جبران" و "ميخائيل نعيمة" و "زكي مبارك" و "طه حسين" و "الرافعي" و غيرهم ، ثم أخذ يراسل مدارس مصر ، فتعلم الصحافة السنيما في مطلع الخمسينيات .

وفي عام 1955 تعرف على أدب جديد و هو أدب السرد الملحمي فالتهم الروايات و القصص و المسرحيات العربية و العالمية المترجمة.انظم الطاهر وطار إلى جبهة التحرير الوطني عام 1956 و ظلّ يعمل في صفوفها حتى عام 1984 كعضو في اللّجنة الوطنية للإعلام مع الشخصيات مثل "محمد حربي" ، ثم مراقبا وطنيا ،و هذه المشاركة الفعالة في عمل الحزب الحاكم في الجزائر "أفادت وطار بتجربة لا يستهان

---

[1] خدوش رابح:موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ، دار الحضارة ، (د. ط) 2003 ، ص 276. 277 .

[2] بوزواوي محمد :قاموس الأدباء و العلماء المعاصرين ، دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع ، (د.ط) 2003 ، ص136

بها في التعرف على مصاعب إرساء حياة جديدة و على الطابع الحاد للمشاكل الاجتماعية و السياسية لعلوم الوطن"[1]

كما عمل في الصحافة التونسية ، لواء البرلمان التونسي ، وعمل في يومية الصباح وتعلم فن الطباعة .

أسس عام 1962 أسبوعية الأحرار بمدينة قسنطينة وهي أول أسبوعية في الجزائر المستقلة .وفي عام 1973 أسس أسبوعية الشعب الثقافي وهي تابعة لجريدة الشعب ، كرس حياته للعمل الثقافي التطوعي وهو يرأس ويسير الجمعية الثقافية الجاحظية منذ 1989 ، وقبلها كان قد حول بيته إلى منتدى يلتقي فيه المثقفون كل شهر "فهو الروائي الجزائري الوحيد الذي تفوقت رواياته المكتوبة باللغة العربية على مثيلاتها من الروايات المكتوبة بالفرنسية من طرف الجزائريين ، فترجمت آثاره إلى اللغات الأخرى وتعددت الدراسات سواء كانت بالعربية أو باللغات الأخرى ، وبعضها آثار ضجة كبيرة لما يحتويه من جديد طريف " [2] ، غير أن أعماله تلقت صدى كبير ودرّست في مختلف الجامعات في العالم.

توفي الروائي الطاهر وطار في الجزائر العاصمة ، متأثر بمرض عضال الذي ألزمه الفراش وكان ذلك في 18 أوت 2010 .

مؤلفاته :

للأديب الجزائري الطاهر وطار عدة مؤلفات ، فمنها المجموعات القصصية ، والمسرحيات و الروايات ، كما أنه قام بترجمة مجموعة من الأعمال الفرانكوفينية .

1) **المجموعات القصصية :**

- دخان من قلب تونس سنة 1961

[1] بوباكير عبد العزيز : الأدب الجزائري في مرآة إستشرافية ، دار القصبة للنشر ،(د.ط) ،2002 ، ص 97 .

[2] زناقي عبد الرحمن : التبيين ، المجلة الثقافية الإبداعية ، تصدر عن الجاحظية ، العدد 9 (د.ط) ، 1995 ، ص 47.

- الطعنات سنة 1971
- الشهداء يعودون هذا الأسبوع سنة 1974

2) المسرحيات :

- على الضفة الأخرى (مجلة الفكر تونس أواخر الخمسينات).
- الهارب 1971.

3) الروايات :

- اللاز 1972.
- الزلزال 1974.
- الحوات والقصر 1978.
- عرس بغل 1981.
- العشق والموت في الزمن 1989.
- رمانة 1995.
- الشمعة و الدهاليز.
- الولي الطاهر يعود إلى مقامة الزكي 1999.
- الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء.

خاتمـــــــــــــــــــــــــــة

و أخيرا لابدّ لنا من وقفة ختامية تقويمية نبرز فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث:

- الواقعية مذهب من المذاهب الأدبية وهي تيار فكري و فني و اجتماعي، تعاونت الآداب الكبرى العالمية على نشأتها و نموها، و تطورها، فهي تمثل روح العصر الذي نشأت فيه.
- ظهرت الواقعية كمذهب أدبي عند الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ردا على الإفراطات العاطفية التي جاءت بها الرومانسية و هي بمثابة تيار عام فرضه العصر على صفوة كتابة المفكرين كي يستجيبوا لمطالبه، و يقودوا إمكانياته، و يبلوروا مثله و يشاركوا في وجوه نشاطه الإنساني.
- تهدف الواقعية لتصوير الحياة الطبيعية الإنسانية بأوسع معانيها و بمختلف أشكالها، كما أنها تهتم بوصف الحياة اليومية دون أيّ مثالية و تقوم على فهم الواقع و تفسيره على النحو الذي تـــــــــــــــــــراه.
- تنقسم الواقعية إلى ثلاثة أنواع : الواقعية الإنتقادية، الواقعية الطبيعية، الواقعية الاشتراكية، و كل واحدة منها لها أعلامها و ما يميزها عن الأخرى، فالواقعية الإنتقادية وكما تسمى الواقعية الأم أو الواقعية المتشائمة ظهرت نتيجة الوضع المأساوي السائد في المجتمع، فهي تركز على الظواهر الاجتماعية السلبية التي أنتجها المجتمع المادي، و من أعلامها بلزاك.
- أمـــــا الواقعيـــــة الطبيعيـــة ظهرت نتيجة التطورات العلمية و التجارب التحليلية، ومن أعلامها اميل زولا.
- أما الواقعية الاشتراكية فقد نشأت في دول شرق أوروبا و في الاتحاد السوفيتي متأثرة بالفلسفة الماركسية و النزعة الإنسانية، فهي ترى أن الإنسان قادر على تغيير وضعه الاجتماعي و تحسين ظروفه، و بالتالي فهي واقعية متفائلة.

- الواقعية الاشتراكية واقعية إيجابية تكرس النضال الاجتماعي و السياسي و الوحدة الجماعية، فهي تصور المجتمع ككتلة واحدة و تعمل على تغيير وضعه و تبشره بمستقبل أفضل.
- تعمل الواقعية الاشتراكية على مساعدة الطبقة الفقيرة في المجتمع و خاصة طبقة العمال، ففي مجمل خصائصها أنها تعمل على التغيير و الاشتراك في المبادئ (البطولة الجماعية)، و النضال من أجل تحقيق مطالب الغير.
- لقد اهتمت الواقعية بالفن النثري في الأدب و خاصة الرواية و المسرحية عن غيرها من سائر الفنون النثرية.
- كان تأثير الواقعية في الأدب الجزائري عامة و الرواية على وجه الخصوص، وهذا ما أورده الكتاب في أعمالهم الإبداعية خاصة في فترة السبعينيات مثل الطاهر وطار في روايته "اللاز".
- تعـــرّف روايـــة "اللاز" القـــارئ بالثـــورة الجزائريـــة بمختلف أطوارهـــــــــــــا.
- رواية "اللاز" كانت بحق المرآة العاكسة لواقع الريف الجزائري بعد الثورة و المعاناة التي كان يتخبط فيها.
- إن أحداث رواية "اللاز" لم تصنعها شرائح المجتمع الجزائري، كما هو الواقع من علماء و مثقفين و فلاحين و عمال، بل صنعتها شخصيات تنحدر من البيئات المسحوقة في المجتمع و استطاعت أن تضع لنفسها اسما و أن تقوم بدور نبيل في المجتمع مثل: شخصية "اللاز" ووالده"زيدان" اليساري الذي تشبع بالفكر الماركسي.
- رواية "اللاز" ليست سوى صراع إيديولوجي تمثل شخصية "زيدان" إلى حد كبير، ويعينه في ذلك ابنه "اللاز" و أخوه "حمو"، الذي أثر عليهما صراع الشيوعية و حزب جبهة التحرير و المراد تأسيسه.
- كان توظيف الطاهر وطار للواقعية الاشتراكية في روايته جليا، إذ صوّر لنا واقعا تحكمه جملة من الشروط التي تستجيب إلى النظام الاشتراكي مثل النضال و

التغيير و الوحدة الجماعية أو البطولة الجماعية وفكرتا الشيوعية و الحزبية بهدف تحرير الأرض من أدناس و أنجاس الاستعمار الفرنسي .

- وأخيرا يبقى الروائي الطاهر وطار من أبرز الروائيين الجزائريين الذين تأثروا بالواقعية الاشتراكية ووظفوها في أعمالهم الإبداعية.

1. أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، سنة 1988.
2. الطاهر وطار: اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، طبعة جديدة، سنة 2004.
3. إبراهيم مصطفى إبراهيم: نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، ط 1، سنة 2000.
4. أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 5، سنة 2007.
5. إحسان عباس: فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، ط 3، سنة 2004.
6. أحمد إبراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط3، سنة 1984.
7. إدريس بودبية: الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، منشورات منتوري، قسنطينة.
8. إسماعيل جماجم: الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، (د–ط)، (د–ت).
9. الأعرج واسيني: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د–ط)، سنة 1976.
10. أنطونيوس بطرس: الأدب – تعريفه– مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ط 1، سنة 2003.
11. بوباكير عبد العزيز: الأدب الجزائري في مرآة إستشراقية، دار القصبة للنشر و التوزيع، (د–ط)،سنة 2002.
12. بوزواوي محمد: قاموس الأدباء و العلماء المعاصرين، دار مدني للطباعة و النشر والتوزيع، (د–ط)،سنة 2003.
13. حامد حفي داوود: تاريخ الأدب الحديث– تطوره– معالمه الكبرى– مدارسه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د–ط)، (د–ت).
14. حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، سنة 1990.

15. حسين مروة: دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مكتبة المعارف، بيروت، (د-ط)، سنة 1965.
16. حلمي بدير: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 2، سنة 2002.
17. حلمي علي مرزوق: الرومانسية- الواقعية النقدية- الواقعية الاشتراكية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، (د-ط)، (د-ت).
18. خدوش رابح: موسوعة العلماء الجزائريين، دار الحضارة، (د-ط)، سنة 2003.
19. دراقي زبير: محاضرات في الأدب الأجنبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د-ط)، (د-ت).
20. سامي هاشم: المدارس والأنواع الأدبية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د-ط)، سنة 1979.
21. سعيد سلام: التناص التراثي- الرواية الجزائرية نموذجا، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، سنة 2010.
22. شايف عكاشة: نظرية الأدب في النقد العربي الواقعي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د-ط)، (د-ت).
23. شفيق بقاعي/ سامي هاشم: المدارس و الأنواع الأدبية، منشورات المكتبة المعاصرة، صيدا، بيروت، سنة 1979.
24. شكري محمد عيّاد: المذاهب الأدبية النقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة، (د-ط)، (د-س).
25. صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، سنة 2004.
26. عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د-ط)، سنة 1999.

27. عبد الله الخطيب: النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار،دار الفضاءات للنشر و التوزيع، عمان،دار المعارف، ط1، سنة 2008.
28. عبد الله رضوان: البنى السردية، (2)، دار اليازوري، عمان، ط1، سنة 2003.
29. عثمان بدري: قمم ونماذج في الأدب العربي الحديث- دراسات تطبيقية، دار القالة، الجزائر، (د-ط)، سنة 2001.
30. عزّ الدين إسماعيل: الأدب و فنونه دراسة و نقد، دار الفكر العربي ،(د-ط)، (د-ت).
31. عمار زعموش: النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضايا واتجاهاته، مطبوعات جامعية منتوري، قسنطينة، سنة 2001.
32. عمر بن قينا: في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، سنة 1995.
33. فؤاد مرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبية، مديرية الكتب والمطبوعات، ط 2، سنة 1996.
34. فواز الشعار: الأدب العربي، الموسوعة الثقافية العامة، دار الجيل، بيروت، (ط 1)، سنة 1999.
35. فيلب فان تيغم: المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، تر.أنطونيوس، منشورات عويدات، باريس، ط3، سنة 1983.
36. ليلي عنان: الواقعية في الأدب الفرنسي، دار المعارف، القاهرة، (د-ط)، (د-ت).
37. محمد بشير بوجيرة: الشخصية في الرواية الجزائرية،دار المعارف، بيروت، (د-ط)، سنة1983.
38. محمد زغلول سلام: النقد الأدبي المعاصر، ج 1، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د-ط)، (د-ت).
39. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، (د-ط)، سنة 2003.
40. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، (د-ط)، سنة 1973.

41. محمد مندور: الأدب و مذاهبه، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، (د–ط)، سنة 2004.

42. محي الدين صبحي: دراسات ضدّ الواقعية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، سنة 1980.

43. مخلوف عامر:توظيف التراث في الرواية الجزائرية– بحث في الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات دار الأديب، ط 1،

44. ميجان الرويلي والدكتور سعد البازغي: دليل النقد الأدبي، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، سنة 2005.

45. نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د–ط)، سنة 1984.

46. واسيني الأعرج: تجربة الكتابة الواقعية – الرواية أنموذجا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د–ط)، سنة 1989.

47. ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب معالم وانعكاسات، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، سنة 1984.

48. ياسين الأيوبي: واقعية الأدب في رواية أنا كرنينا لتولستوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، سنة 2001.

49. يوسف بكار/ خليل الشيخ: الأدب المقارن،الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات بالتعاون مع جامعة القدس، (د–ط)، سنة 2008.

50. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسوية إلى النسبية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د–ط)، سنة 2002.

المجـــــــــــــــــــــــــــــــلات:

1. مجلة الخبر، أبحاث في اللغة و الأدب، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
2. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد7.
3. مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، العدد 2.
4. مجلة المعرفة، دمشق، العدد 213، سنة 1979.

المقـــــــــــــــــــــــالات:

1. شادية بن يحي: الرواية الجزائرية و متغيرات الواقع، السبت 4 مايو 2013 www.diwanarab.com

الفهـــــــــرس

دعـــــــــــاء

إهـــــــــــداء

تشكـــــــــــرات

مقدمـــــــــــة.....أ- ب.

مدخل: الواقعية-تعريفها- أنواعها و أعلامها

1.تعريف الواقعية لغة و اصطلاحـــــــا.....08.

2.نشـــــــــأة الواقعيـــــــــــــة.....10.

3.أنـــــــــــواع الواقعيـــــــــــة.....12.

3)1-الواقعيـــــــة الانتقاديـــــــــة.....12.

3)1-1-أعـــلام الواقعية الانتقاديـــة.....15.

3)2-الواقعيـــــــة الطبيعيـــــة.....16.

3)2-1-أعلام الواقعية الطبيعيـــــة.....18.

3)3-الواقعيـــــــة الاشتراكيـــــة.....18.

3)3-1- أعلام الواقعية الاشتراكيـــة.....21.

الفصل الأول: الواقعية و علاقتها بالرواية الجزائرية

المبحث الأول: الواقعيـــــــــة و أصولـــــــها.....25.

المبحث الثاني: خصائص و مميـــزات الواقعيـــة.....35.

1.خصـــــــائص الواقعيـــــة الانتقاديـــــة.....35.

2.خصـــــــائص الواقعيـــــة الطبيعيـــــة.....39.

3.خصـــــــائص الواقعيـــــة الاشتراكيـــة.....41.

المبحث الثالث: أثر الواقعية في الرواية الجزائرية.....47.

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية للواقعية في رواية اللاز للطاهر وطار

المبحث الأول: دوافع تأليف الرواية و مضمونها.....59.

المبحث الثاني: البنـــــــــاء الفني لرواية اللاز.....67.

1.الشخصيـــــــات.....67.

2.المكـــــــــــان.....72.

3.الزّمـــــــــــان.....73.

4.الســـــــــرد.....74.

5.الحـــــــــوار.....75.

6.اللغـــــــــــة.....76.

المبحث الثالث: تجليات الواقعية الاشتراكية في رواية اللاز.....78.

ملحق:

نبذة عن حيــاة الطاهر وطار.....87.

خاتمة.....91.

قائمة المصادر و المراجع.....94.